مشروع الدراسات الأرمنية

(٢)

أمريكا.. والبروباجندا الأرمنية

(دراسة وثائقية)

ترجمة وإعداد

الدكتور/ أحمد عبد الوهاب الشرقاوي

اسم الكتاب: أمريكا.. والبروباجندا الأرمنية
التأليف: الدكتور/ أحمد عبد الوهاب الشرقاوي
موضوع الكتاب: دراسة
عدد الصفحات: 160
عدد الملازم: 10 ملازم
مقاس الكتاب: 17 x 24
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
رقم الإيداع:
الترقيم الدولي:

١٤٣٩هـ
٢٠١٧م

التوزيع والنشر

دار البشير للثقافة والعلوم

darelbasheerealla@gmail.com
darelbasheer@hotmail.com
www.darelbasheer.com
01012355714 - 01152806533

الإهداء

إليه ...

في أعماق «أحضان» مصر

باحثًا عن الحقيقة

أهديه قبسًا من نور «الحقيقة»

عاصم علاء



هنري مورجنثاو، السفير الأميركي في القسطنطينية
١٩١٣ حتى ١٩١٦

المقدمة

ما تزال مذكرات الدبلوماسيين والسفراء تحتل مكانة مرموقة بين مصادر التاريخ، خاصة التاريخ السياسي، باعتبار أصحاب هذه المذكرات أناس صنعوا الأحداث، أو شاركوا في صنعها، أو هم- على الأقل- كانوا قريبين من صنّاعها، وعاشوا في كواليس المسرح السياسي؛ فكان لهم دور في الظل، ربما هو أكبر من دورهم في العلن.

والسفير يمثل دولته وإستراتيجيتها، ويعبر عن رغباتها وأطماعها، ويقوم بدور المدافع عن حقوقها، والمبرر لسياساتها لدى الدولة التي يعيش فيها سفيرًا، وهو- أيضًا- عين دولته الساهرة على رعاياها وامتيازاتها في الدول الأخرى، وكذلك عينها التي ترصد كل شاردة وواردة في أنحاء مدن هذه الدولة، عبر قناصله ووكلائه، يتلقى تقاريرهم، ويحللها، ويستنتج منها ما يعين وزارة الخارجية في دولته على اتخاذ مواقفها، ورسم سياساتها وتعديل خططها واتخاذ تدابيرها،.. الخ.

هذا هو الوضع الطبيعي؛ مع الأخذ في الاعتبار أن كتب المذكرات عامة- بما فيها مذكرات السفراء والدبلوماسيين- لا تنجو من التبريرات والتعليلات والدفاع والميل إلى جانب دون الآخر، والتعصب لاتجاه دون الثاني، وكثيرًا ما تفتقر إلى الحياد والتجرد، إنما هي- في كل الأحوال- تحمل مادة تاريخية ثرية يستطيع الباحث الحصيف استخراجها بعد تنقيتها من الشوائب المذكورة.

وتزداد هذه المذكرات أهمية وخطورة عندما تضع الظروف صاحبها في ملابسات حساسة من حيث الزمان والمكان والأحداث، كتلك التي بين أيدينا، فهي مذكرات السفير الأمريكي في العاصمة العثمانية إبّان الحرب العالمية الأولى،

وكانت أمريكا- حينها- بعيدًا عن الصراع الأوروبي، وإمبراطورياته العجوز المتهاوية، وقومياته الفتية المتنامية، وأطماعه المتصادمة؛ تقبع في الركن الغربي القصيّ من الكرة الأرضية، تنعم بعنفوان شباب دولتها واقتصادها، بينما العاصمة العثمانية تعُجّ بثورات الأقليات؛ خاصة الأقلية الأرمنية، وانقلاب الجمعيات الطامحة في الإصلاح، أو الطامعة في الحكم، لاسيما جمعية «تركيا الفتاة»، والتي عرفت بعد ذلك باسم «الاتحاد والترقي»، والتي أطاحت عام ١٩٠٩ بحكم السلطان الداهية عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار.

وفي تلك الأثناء يشتعل فتيل الأحداث في برميل البارود، تلك المنطقة المشتركة ما بين الشرق والغرب، بين أملاك الدولة العثمانية الإسلامية الشرقية وبين القوميات والأقليات الأوروبية المسيحية الغربية، البلقان؛ حيث تبدأ منها الشرارة الأولى التي أشعلت الحرب العالمية الأولى، أو على التحقيق كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، وكان مقتل الأرشيدوق النمساوي هو المبرر لانفجار الصراعات في القارة العجوز.

في هذا الخضم المتلاطم يأتي هنري مورجنثاو سفيرًا لبلاده- الولايات المتحدة الأمريكية- إلى الآستانة/ استانبول.

وما كان أغناه عن هذا المنصب أو هذا التكليف المضني في الزمان والمكان والظروف. فالرجل صديق شخصي للرئيس الأمريكي وودرو ولسن، ورئيس لجنة الشئون المالية في حزبه، والمسئول المالي عن حملته الانتخابية التي انتهت بفوزه، وكان لمورجنثاو خبرة في عالم الاقتصاد عبر عمله في سمسرة العقارات، ربما انعكست خبرته تلك على شخصيته وخبرته في عالم السياسة أو الدبلوماسية التي

دخلها سفيرًا كمكافأة له من صديقه ولسون. وإن كانت مكافأة غير مرضية، قبلها مورجنثاو بعد إلحاح حاخام اليهود في أمريكا، وتدخل الرئيس ولسون.

لكن سرعان ما يعود مورجنثاو مرة أخرى إلى واشنطن بعد ستة وعشرين شهرًا قضاها في تركيا؛ ليشارك من جديد في حملة إعادة انتخاب ولسون رئيسًا، وأيضًا في حملة ولسون وسياساته الرامية إلى الدخول في الحرب إلى جانب الحلفاء.

وإزاء معارضة الرأي العام الأمريكي بل وفتوره تجاه هذه الحرب؛ يرى مورجنثاو- عبر مقترحات البعض- أن يدوّن مذكراته كسفير شاهد على أحداث الحرب وأسرارها لدى اطّلاعه عليها أثناء إقامته في الآستانة، وبالفعل يدوّنها لتنشر كسلسلة مقالات تصنع طفرة في أعداد توزيع المجلة التي تنشر تلك المقالات، والأهم من ذلك؛ تساهم بشكل فعال في حشد الرأي العام الأمريكي باتجاه سياسة ولسون لدخول الحرب، ومن ثم إنهائها لصالح الحلفاء ثم الجلوس في مقعد الحكم لتقسيم تركة المنهزمين، أو إقرار السلام العالمي بسرعة، كما يرى مورجنثاو.

وعندما نطالع عنوان «قصة السفير مورجنثاو» تتملكنا الإثارة، فالقصة في حد ذاتها- أيًّا كانت- هي شيء ممتع ومثير، وما أكثر إثارتها إذا كانت قصص واقعية في حبكة كهذه. تحمل من الأسرار والمفاجآت ما يرغم القارئ على المتابعة والمواصلة حتى آخر كلمة.

لكن الأكثر إثارة من «قصة السفير مورجنثاو» هي تلك «القصة التي وراء قصة السفير مورجنثاو».

فإذا كانت الأسرار ممتعة ومثيرة، فإن الأسرار التي وراء الأسرار بالتالي تكون أكثر متعة وأعمق إثارة، لكنها في حالتنا تلك صادمة.

فالكاتب والمؤرخ الأمريكي «هيث لوري» يجري دراسة تحليلية ووثائقية حول هذه «المذكرات» ، أو هذه «القصة»، فيكشف لنا الكثير من القصص التي وراء القصة.

اعتمد «هيث لوري» على آلاف الأوراق التي تركها «مورجنثاو» في أرشيف المكتبات الأمريكية، ما بين يوميات ومذكرات وخطابات وتقارير.. الخ، وقارنها بما جاء في الكتاب، وكانت المفاجأة أن الكتاب في الكثير من الأحيان قصص ملفقة وتحوير للنصوص والأحداث في حبكة صحفية محترفة؛ صنعت لجلب الإثارة والتأثير على الرأي العام الأمريكي، دون اعتبار للحقائق أو التاريخ، بل والأدهى من ذلك أن هذا الكتاب/ القصة اعتُبر كمرجع ومستند رسمي استند عليه الكونجرس الأمريكي كوثيقة إدانة للأتراك في ارتكاب «حكومة الاتحاد والترقي» جريمة إبادة جماعية ضد الأقلية الأرمنية، رغم أن الكتاب كان مجرد «قصة» ربما لا ترقى أن تدخل في مجال الأدب، وتتوقف مكانتها عند «البروباجندا».

وتتوالى المفاجآت التي يكشف عنها «هيث لوري» في تشريحه الوثائقي لهذا الكتاب؛ حيث يتناول المشاركون الحقيقيون في تدوين الكتاب وصياغته وتعديله، بل وفكرة الكتاب من أساسها، والتي تطورت لتصبح فيلمًا سينمائيًّا لولا تدخل الرئيس «ولسون» الذي رفض فكرة تحويل الكتاب إلى فيلم؛ لأنهم: «تمادوا في هذه المسألة أكثر من اللازم»!؟

رغم المتعة والإثارة التي في الكتابين، إلا أن هناك جوانبَ أخرى تسترعي الانتباه، وتدق ناقوس اليقظة:

- مدى الاعتماد على مصداقية كتابات السفراء والدبلوماسيين.

- البحث الدقيق في مسلَّمات وأسس القضية الأرمنية التي كان كتاب «مورجنثاو» أحد أكبر دعائمها، أو هو بالفعل أحد أناجيلها الأربعة.

والآن نترك للقارئ والباحث المجال لقراءة (القصة التي وراء قصة السفير مورجنثاو) وهي الدراسة التحليلية والوثائقية التي كتبها الباحث والمؤرخ الأمريكي «هيث لوري» ناقدًا ما كتبه «مورجنثاو» في مذكراته.

عسى أن تكون المتعة والمفاجآت بداية جديدة للبحث المتعمق والجاد.

والله من وراء القصد.

أحمد عبد الوهاب الشرقاوي

المركز الثقافي الآسيوي

harpgeneraton@yahoo.com

مدخل

«الملة الصادقة» الأرمن تحت الحكم العثماني

الدعاية الأرمنية وحملة الكراهية والتشويه

ضد الأتراك وتركيا

«الملة الصادقة»
الأرمن تحت الحكم العثماني

ضمت الدولة العثمانية (١٢٩٩ - ١٩٢٣م) في كيانها السياسي مجموعات كبيرة من التشكيلات الإثنية والأقليات العرقية، وكان فسيفساء الشعوب التي تحكمها بمثابة لوحة من الموزاييك استمرت بديعة المنظر فترة من الزمان، توحي بالتناسق والتناغم، طالما بقيت الدولة قوية، وقليلًا ما كانت تظهر الثورات والتمردات في المناطق المكتظة بالأعراق المختلفة، مثل برميل البارود المسمى «شبه جزيرة البلقان»، والتي كانت تمثلها الولاية العثمانية «إيالة الروملي».

وكان الأرمن إحدى هذه الأقليات التي ضمتها الدولة العثمانية، لكنها كانت أقلية متميزة، إذ عرفت بـ "الأمة المخلصة"، أو بالتعبير العثماني "مللت صادقه" نظرًا للمكانة التي تبوأتها في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

فعلى الصعيد السياسي تواجد الأرمن في المناصب الحكومية المختلفة وبشكل أكثر كثافة في السلك الدبلوماسي؛ نظرًا لمهارتهم في الترجمة وإتقانهم للغات، ونال بعضهم درجة الوزارة، وحتى نائب الصدر الأعظم، وهو بمثابة نائب رئيس الوزراء.

وعلى الصعيد الاقتصادي كان «الأمراء» الأرمن في العاصمة وفي الريف الأناضولي بمثابة «الإقطاعيين» وكبار ملاك الأراضي أو «الملتزمين» وكذلك مثلوا معظم أفراد طبقة مقرضي الأموال «المرابين»، ونافسوا في ذلك اليهود، حتى أن دار السكة- ضرب العملة- كانت إدارتها لفترة زمنية طويلة؛ حكرًا على الأرمن، بالإضافة إلى النواحي التجارية الداخلية والخارجية؛ إذ كان من الأرمن

كبار المصدرين والمستوردين، وربما انفرد الأرمن بتأسيس الشركات الدولية ذات الأفرع المنتشرة في عدة عواصم أوروبية وآسيوية.

أما في النواحي الاجتماعية والدينية فقد عاش الأرمن- المسيحيون- تحت المظلة العثمانية الإسلامية، ليس كأقلية دينية، وإنما كطائفة أو ملّة لها حقوق المواطنة من الدرجة الأولى، وذلك حتى من قبل الفتح العثماني للقسطنطينية، وبدء الكيان الرسمي بالفرمان السلطاني لمحمد الفاتح بإنشاء البطريركية الأرمنية في العاصمة العثمانية الجديدة «إستانبول» عام ١٤٦١م، وأصبح البطريرك الأرمني مسئولًا عن الموظفين والإدارة الروحية والتعليم العام، وكذلك المؤسسات الدينية والخيرية لطائفته.

وفوق ذلك كله بعد انحسار الدور اليوناني في الإدارة والمؤسسات العثمانية إبّان ثورة اليونان وانسلاخها عن الحكم العثماني، ازداد نشاط الأرمن، كما ازداد اعتماد الحكومة العثمانية عليهم في ملء الفراغ الذي تركه الرعايا اليونانيون.

إلا أن النشاط الأرمني خارج الحدود، وعلاقاتهم المتشعبة والمنفتحة مع عدة دول وقوى كبرى، سهل انتقال الأفكار القومية والثورية إليهم، كما أن «حمّى القومية» التي اشتدت سخونتها عقب الثورة الفرنسية، و«الجامعة السلافية» التي كان يعلو صوتها عقب كل هزيمة عسكرية يتلقاها العثمانيون على يد الدب الروسي وأخيرًا وليس آخرًا لعبة توازن القوى التي كانت تمارسها الدول الكبرى للحفاظ على نفوذها السياسي ومصالحها الاقتصادية وطرق مواصلاتها مع مستعمراتها الآسيوية والإفريقية؛ كل ذلك جعل الأرمن ورقةً رئيسية في هذه اللعبة السياسية، خاصة وهم مسيحيون، يتوزعون على المذاهب المسيحية الثلاثة التي تمثلها هذه القوى المتباينة: الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانتية.

ولا يمكننا أيضًا إغفال الدور الرئيسي والمحرك الأساسي للكنيسة الأرمنية التي كانت بمثابة الوطن الأم لكل الأرمن، سواء في المهجر المنتشر عبر دول العالم كله، أو تحت الحكمين العثماني والروسي؛ إذ مثلت الكنيسة الأرمنية منبعَ الدعم الروحي، ومركز الحركة القومية، ومحرك أو محرض الثورات والتمردات ضد الحكم العثماني. أضف إليها النشاط التبشيري لمختلف المذاهب المسيحية والذي كان مرتبطًا بشكل وثيق مع المصالح السياسية للدول التي تدعم هذه الإرساليات التبشيرية.

ومع ظهور أعراض النهاية على الدولة العثمانية، واعتبارها رجل أوروبا المريض، والمحاولات الإصلاحية العثمانية المعروفة بـ «التنظيمات»، والتي كان من سلبياتها- التي فاقمت سرعة انهيار الدولة- إعطاؤها امتيازات واسعة للأقليات، التي سرعان ما تعالى صياحها في أول جلسة للبرلمان العثماني- إبّان حكم السلطان عبد الحميد الثاني- مطالبة بالانفصال عن الدولة، وهو ما يعني انهيارها بشكل رسمي.

أما الأرمن، فلم يكتفوا بالمطالبة- عبر نوابهم البرلمانيين- بالانفصال أو الحكم الذاتي، بل أعلن نائب أرمني بكل صراحة- في البرلمان الجديد في عهد الاتحاديين- أنه أعد ستين قنبلة وفجَّرها في العهد الحميدي، وأنه الآن يعد القنبلة رقم واحد وستين. وكان الرجل صادقًا، إذ أنه كان أحد كبار قواد التمردات الأرمنية التي اشتعلت في ولايات شرق الأناضول الستة، التي يتواجد فيها الأرمن، وهي ولايات: بتليس، أرضروم، فان، خربوط، سيواس، ديار بكر.

وكانت قمة التصاعد الدرامي للأحداث قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى، إذ كانت بعض الولايات الست المذكورة ذات حدود مشتركة مع روسيا العدو

الأساسي للعثمانيين في الحرب المذكورة، وكانت روسيا في أحد أطوار القضية الأرمنية داعماً كبيرًا في اتجاه الانفصال الأرمني عن الدولة العثمانية، وتوَّجت هذا الدعم بإمداد الثوار الأرمن بالمال والسلاح، ورد الأرمن الجميل للروس بإمدادهم بالمعلومات والرجال، والعمل كطابور خامس للقوات العثمانية خلف خطوط الجيش العثماني، مما اعتبرته الحكومة العثمانية جريمة خيانة عظمى، فكان قرارها بترحيل سكان المناطق الحدودية وجبهات القتال إلى مناطق داخلية مما اعتبره الأرمن وصحفهم المعارضة المنتشرة في كل اتحاد أوروبا وأمريكا؛ تهجيرًا قسريًّا أدى إلى تساقط الضحايا بأعداد مبالغ فيها. وكان ذلك ذريعة أخرى للتدخل في الشأن العثماني الأرمني باسم الإنسانية، وأوجدت الحكومات الغربية المبررَ لنفسها أمام شعوبها وأمام الرأي العام العالمي للقضاء على الدولة العثمانية «ورجل أوروبا المريض» وتقسيم تركته، عبر خلية إعلامية أنشأت خصيصًا لذلك في المخابرات البريطانية، تولى شأن المسألة الأرمنية فيها المؤرخ الشاب- حينها- أرنولد توينبي، وعلى خلفية الضغائن الموروثة ضد هذه الدولة التي كان يعتبرها الأوروبيون- حكومات وشعوب ودارسون- زائدة لحمية نبتت على وجه أوروبا فشوّهته، ويجب إزالتها. وكانت ممثلة للدين الإسلامي الذي اعتبروه أيضًا تقليدًا غير متقن لليهودية وتعديلًا غير صحيح للمسيحية، وثورة لقبائل بدائية همجية هي القبائل العربية.

وذلك ما اعترف به المستشرق «مالكولم ياب» في إطار دعوته لإعادة تقييم وكتابة تاريخ الدولة العثمانية من وجهة نظر محايدة، وبعيدًا عن موروثات الماضي، واعتمادًا على المصادر الوثائقية التي تذخر بها الأرشيفات العثمانية في إستانبول/ تركيا، ومعظم الدول التي حكمها العثمانيون.

الجذور التاريخية والواقع والمستقبل السياسي

وإذا كانت النهاية الرسمية للقضية الأرمنية/ العثمانية في مؤتمر لوزان ١٩٢٣م، إلا أن القضية مستمرة على المستوى الرسمي، إذ ما زال الأرمن كشعب محب للهجرة يعيش فيما يسمى «الدياسبورا» أو الشتات يبذل جهوده الحثيثة لنشر قضيته من خلال جمعياته ومؤسساته الخيرية والفنية والثقافية، وحتى من خلال الضغوط السياسية للوبي الأرمني في الدول الأوروبية والولايات المتحدة، بل تجاوز الأمر إلى ظهور جماعة مسلحة أرمنية تمارس أنشطتها ضد الأهداف التركية والدبلوماسيين الأتراك، مثل جماعات: الطاشناق والهنشاق والنرسس والجيش السري الأرمني «أسالا» والتي تركزت أنشطتها في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين.

أما الأنشطة على المستوى السياسي والرسمي فبرز بعد ميلاد دولة أرمينيا المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق، ومطالبها بأراضي شاسعة في الأناضول باعتبارها ممثلة لمملكة أرمينية التاريخية، وانتزاعها اعترافات سياسية من عدة دول بما اعتبرته «مذابح» ، و»إبادة جماعية للأرمن» وكانت تلك ورقة لعب للضغط على تركيا ومنعها من الدخول في الاتحاد الأوروبي. ومن ناحية أخرى لعبة التوازن والمصالح الإستراتيجية- خاصة الأمريكية- في منطقة القوقاز ومنابع النفط فيها، بعد الفراغ الأمني والأيديولوجي الذي خلفه السقوط المفاجئ للاتحاد السوفيتي.

محورية القضية الأرمنية

والقضية الأرمنية قد تبدو للسامع قضية تاريخية ذات خصوصية مرتبطة بالزمان والمكان الذي نشأت فيه، لكن القارئ لا يكاد يطالع بعض أبعادها حتى يدرك أنها قضية محورية، ثم لا يزال يقف على تفاصيلها ويدرك بعض حقائقها؛ حتى يجزم أنها قضية قياسية، بمعنى أنها تصلح لتكون أنموذجًا تاريخيًّا متكررًا في معظم جوانبه

للعديد من القضايا والمشكلات التي تواجهها الدول إبّان صعودها وهبوطها، وتقدم الكثير من التفاصيل المتكررة والمعادة في تصرفات القوى الكبرى تجاه من يسقط في حلبة السباق الدولي.

فرغم خصوصية الأقلية الأرمنية التي عاشت في كنف الدولة العثمانية، وصار لها نظام ملّي خاص اعترف به السلطان محمد الفاتح عقب فتح القسطنطينية ١٤٥٣م، ومرورًا بالتغيرات التي طرأت على طوائف الأرمن حتى الحرب العالمية الأولى، والاتهامات الموجهة ضد حكومة الاتحاد والترقي- تركيا الفتاة- بتنظيم وتنفيذ مخطط لإبادة العرق الأرمني في تركيا؛ إلا أن خصوصية هذه القضية نراها تكاد تنطبق على معظم قضايا الأقليات والدول المتعددة الإثنيات.

ولكن بعد أن بدا حتميًّا للدول الكبرى تنفيذ سياسة التخلص من رجل أوروبا المريض وتقسيم تركته؛ حتى كان الأرمن إحدى أوراق اللعبة الدولية، فقد بدأ التدخل في شئون الدولة العثمانية من قبل روسيا وفرنسا وبريطانيا باسم حماية المسيحيين، وصارت رعاية شئون الأقلية الدينية من أبرز وسائل التدخل عبر سلسلة من الامتيازات وبنود المعاهدات والاتفاقيات، كما أن الضغوط الدولية دفعت الدولة العثمانية نحو تسريع معدلات الإصلاحات والتنظيمات، والتي كانت نتائجها عكسية بالنسبة للأقليات، خاصة الأرمن الذين استفادوا من الميزات والحريات الممنوحة لهم؛ فسارعوا- هم أيضًا- من معدلات تمردهم على الدولة بدلًا من تقوية الانتماء إليها والارتباط بها، وكان مبدأ تصدير الثورة قد ظهر مبكرًا عقب الثورة الفرنسية، وكان المتعلمون الأرمن في طليعة من حمل هذا الفكر الثوري؛ لينظموا الجماعات المعارضة والداعية للثورة، وإنشاء الجمعيات والخلايا التنظيمية لتعبئة الأرمن للتمرد، سواء داخل الدولة أو خارجها.

وقد أثبتت الرابطة الأيديولوجية أنها أقوى من رابطة المواطنة؛ إذ كثيرًا ما كانت الجيوش الروسية تحتل بعض المناطق الحدودية من الدولة العثمانية، ثم تعلن الهدنة وتعقد المعاهدات التي ينسحب على إثرها الجيش الروسي، وينضم إليه في انسحابه الكثير من الأرمن طمعًا في فرصة أفضل، ويتركون بقية الأرمن عرضة لاحتقار وانتقام المسلمين الذين استفزهم انضمام مواطنيهم الأرمن للقوات الغازية، إخوانهم في العقيدة الأرثوذكسية.

وقد كان للمبشرين ولبطاركة الكنيسة الأرمنية واللوبي الأرمني في الخارج؛ دورًا كبيرًا في تضخيم القضية الأرمنية إلى جانب دور البروباجندا الإعلامية الموجهة سياسيًّا.

كل هذه الأسباب وغيرها من تفاصيل القضية الأرمنية نجدها تعيد نفسها مع تغيرات طفيفة في الزمان أو المكان أو المسميات. وعلى سبيل المثال في مصر نجد من يثير فتنة طائفية لأسباب تافهة سرعان ما يضخمها الإعلام العالمي ويؤججها أقباط المهجر، ثم يصدر الكونجرس الأمريكي قانونًا لحماية الأقليات الدينية، وتجد الدول الكبرى السبيل- عبر المناداة بحقوق الإنسان وحقوق الأقليات- للتدخل في الشأن المصري، والتأثير على القرار السياسي، وانتزاع بعض المزايا لصالح هذه الأقليات، مما يزيد من حنق الأكثرية ويشعل النيران تحت الرماد.

والحال نفسه متكرر في بعض جوانبه لدى حزب الله الشيعي في لبنان الذي أعلن كبار مسئوليه أن ارتباطهم الأقوى والمباشر هو مع المرشد الأعلى للثورة الإيرانية في طهران، وليس مع أي فصيل سياسي داخل لبنان.

كما أن التَّماسَ الحدودي بين الخليج العربي وإيران في العراق يوازيه تماسٌّ بين كتلتين شيعية وسنية، امتد تأثيرها الثقافي والعقائدي والثوري على طول الخليج

والجزيرة العربية، مع اتهامات قوية لإيران برفد ودعم شيعة المنطقة العربية في إطار مشروعها لنشر التشيع في المنطقة، ولعل من أبرز الأدلة التي يسوقها المطالعون- بالإضافة إلى حزب الله اللبناني- هو التيار الصدري في العراق، والتمرد الحوثي المسلح في اليمن، وأحداث مملكة البحرين التي استدعت تدخل قوات درع الجزيرة لأول مرة منذ تكوينها.

ويمكن للمتابع أن يسوق الكثير من الأمثلة والنماذج عبر العالمين العربي والإسلامي، والتي تتشابه مع أكثر من عنصر من عناصر القضية الأرمنية.

لذا؛ نعود للتأكيد على أن القضية الأرمنية هي قضية محورية تصلح أن تكون أنموذجًا مرجعيًّا لتأطير القضايا المشابهة لها؛ سواء في ملاحقة البدايات، أو متابعة التطورات أو رصد المتغيرات والمؤثرات، أو وضع سياسة المواجهة والمعالجة، وكأن القضية الأرمنية بعناصرها هي صياغة عملية لنظرية سياسية في التدخل والثورة والاستمرارية والمعالجة.

بقيت ملاحظة أخيرة ألفت إليها انتباه القارئ، هي أن الصور الواردة في كتابنا هذا وما عليها من تعليقات، مأخوذة من مذكرات مورجنثاو المنشورة بالإنجليزية.

الدعاية الأرمنية
وحملة الكراهية والتشويه ضد الأتراك وتركيا

تلعب الدعاية بشكل أساسي على المشاعر، حيث غالبًا ما تتحدى العقل والحقائق، وذلك كي تتمكن من الوصول إلى نفسيات الشعوب والسيطرة عليها، فالدعاية لعبة ذهنية؛ يقوم الدعائي الناجح باللعب على أكثر المشاعر عمقًا لديك؛ كي يستغل أشد مخاوفك واتجاهاتك المسبقة.

ويقدم « أنطونيو بارتكانيس» و «إليوت أرونسون» تعريفًا للدعاية الحديثة على أنها: «إيحاء أو تأثير جماعي ينشأ عن التلاعب بالرموز وبنفسية الأفراد. وتتضمن الدعاية البراعة في استخدام الرموز والصور والشعارات التي تؤثر على عواطفنا وعلى اتجاهاتنا، إنها عبارة عن إيصال إحدى وجهات النظر، على أن يكون الهدف النهائي من هذا هو حمل المتلقي على القبول طواعية كما لو أنها وجهة نظره الخاصة».

كما أن إطلاق مصطلحات معينة على الأشياء يعد سلاحًا آخرَ اختياريًّا في يد مسئول الدعاية، ففي الحرب العالمية الأولى تم إطلاق مصطلح «الهون» على الألمان ينسبهم إلى قبائل النونيين البرابرة. بل وأطلقت أيضًا هذه الصفة- البرابرة- على كل دول المحور وضمْنُهم الأتراك.

ويقترح العالمان النفسيان براتكانيس وأرونسون أربع استراتيجيات تساعد على نجاح العملية الدعائية:

١- مرحلة ما قبل الإقناع: وهي عبارة عن خلق مناخ يساعد على تصديق الرسالة المراد توصيلها إلى الناس.

٢- مصداقية المصدر بأن يكون مبلغ الرسالة محبوبًا أو موثوقًا به.

٣- أن تركز الرسالة على أهداف بسيطة وقابلة للتحقيق.

٤- إثارة المشاعر وتقديم رد الفعل المطلوب(١).

وهي- تقريبًا- نفس الإستراتيجية الدعائية التي اتبعها الأرمن في نشر قضيتهم. ظلَّ ادّعاء الإبادة الجماعية للأرمن لعقود طويلة لا يخضع لأي دراسة تاريخية صارمة، ولا باستخدام منهج أمين شديد الثقة يستخدم الشك للوصول إلى الحقيقة الموثوقة، كما خضعت الدولة العثمانية على النقيض لدراسات ومراجعات سيئة في الغرب عمومًا لقرون طويلة، والسبب في ذلك يرجع بشكل جزئي إلى كونها دولة مسلحة، ولفتوحاتها العسكرية في أوروبا. كما أنها قد اتخذت بعد ذلك وأعلنت كعدو رسمي لبريطانيا وفرنسا وروسيا أثناء الحرب العالمية الأولى، وهي- أيضًا- عدو واقعي للولايات المتحدة الأمريكية.

وهكذا.. كان الغرب مهيئًا لقبول الادعاءات الأرمنية، إذ أن هذه الادعاءات تعزز وجهة نظرهم السطحية جدًّا والانتقامية للأتراك، والتي كانت قد غرست لمدة قرون(٢).

---

(١) هربرت أ. شيللر: المتلاعبون بالعقول، ترجمة: عبد السلام رضوان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، مسلسل (٢٤٣)، الطبعة الثانية، ١٩٩٩م.

(2) Bruce Fein , Op. Cit., P

وقد برع الأرمن في مسألة الدعاية تلك، كما برعوا في العديد من مجالات الحياة الأخرى كأقلية في المهجر الذي امتد إلى معظم بلدان العالم منذ فترات تاريخية بعيدة[١].

وحمل الأرمن معهم الصفات التي يتميز بها الأقليات- في الكثير من الأحيان- حيث محاولة تعويض النقص العددي والاغتراب والشعور بالدونية في المواطنة، و...، محاولة تعويض ذلك بالبروز والتميز، من خلال النجاح في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من مناحي الحياة.

تميز الأرمن في مجالات الطباعة والصحافة والترجمة والمسرح، فكانوا من روادها في الدولة العثمانية، وفي مجال التعليم والابتعاث إلى الخارج والتشبع بالفكر القومي

(١) في مدينة فيلاديسفوستك الروسية، وهي ميناء حدودي يقع بالقرب من الصين وكوريا، وتطل على بحر اليابان، كانت إحدى محطات رحلة عبد الرشيد إبراهيم، وقبل أن يغادرها في ٢٥ يناير ١٩٠٩، يحكي لنا هذه الواقعة ذات المغزى العميق، فيقول: «توجهت إلى الفندق الذي أنزل به، وبعد أن استرحت قليلاً تناولت قدحًا من الشاي، وفي هذه الأثناء وصل صاحب الفندق وفي يده جريدة، فقال لي:
- ألا تستطيع أن تقرأ هذه الجريدة؟
- أي جريدة هذه؟
- جريدة أرمنية.
- ياه، هل أنت أرمني؟
- نعم أرمني، إلا إنني ولدت هنا، وتربيتي هنا، ولهذا السبب لا أعرف اللغة الأرمنية.
- أين وجدت هذه الصحيفة؟ بل أين تصدر؟
- لقد أرسلت النقود لكي أساعد بقدر استطاعتي، ولكنني لا أستطيع القراءة يا للأسف، وهذه الجريدة تصدر أصلاً في القوقاز.
- ماذا تفعل بالجريدة وأنت تجهل القراءة والكتابة؟ تدفع النقود فما لزوم الدفع!؟
فلتكن النقود قليلة؛ إلا إنها تنفع الأمة في النهاية، وهذا هو مقصدي.
ويعلق عبد الرشيد إبراهيم على هذا الحوار بقوله: فلتكن القومية هكذا.. وأخيرًا يقول: أنا أعرف شكل الخط الأرمني، إلا أنني لا أعرف القراءة. ومع ذلك أخذت الجريدة بيدي، ونظرت فيها قليلاً، فوجدت بعض الإعلانات بالروسية، فقرأتها له، وبهذا القدر كان الأرمني سعيدًا. عبد الرشيد إبراهيم: العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين، ترجمة: أحمد فؤاد متولي، وهويدا فهمي، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٨م، ص: ٢٩٣-٢٩٤.

والليبرالي- إذا جاز التعبير في تلك الفترة- وما صاحبه من إنشاء أندية وجمعيات وأحزاب وجماعات معارضة، وداعية إلى التحرر والانفصال والاستقلال.

ومن خلال ذلك كله - وغيره - اكتسبوا خبرات واسعة في مجال الدعاية والبروباجندا.

ووفقًا للقاموس السياسي فالبروباجندا هي كلمة لاتينية أول من استخدمها هو الأب جريجوري الهامس عشر ١٦٢٢م، حيث أسس ما عرف بالدعاية الجماعية المقدسة : Sacred Congregational Propaganda ، وهي مفوضية- لجنة- صممت لنشر العقيدة الكاثوليكية في العالم. ومنذ ذلك أُخذت البروباجندا بمعنى واسع، وهو نشر أي تكنيك في الكتابة والخطابة والموسيقى والسينما والوسائل الأخرى، بهدف التأثير على الرأي العام[١].

وهو ما يشير إلى ارتباط البروباجندا والدعاية بالكنيسة، تلك الكنيسة التي ارتبط بها الأرمن، وكانت محور حياتهم، والفلك الذي تدور حوله شموس هذه الحياة وأقمارها، إذ ارتبطت الفنون والآداب بالكنيسة كذلك العمارة والتعليم والصحافة والزعامات القومية والوطنية حتى الثورية.

وقد أدرك قادة الأرمن منذ البداية انتقاد قضيتهم لمبررات ومسوغات النجاح؛ حيث لم يمثلوا أغلبية سكانية في المناطق التي يسكنونها وينادون بأن تكون ذاتية الحكم أو مستقلة. كما أن القاعدة الشعبية والجماهيرية لم تكن قاعدة عريضة ولا ذات مشاركة فعالة في أول الأمر؛ لدعم وتأييد هذه القضية، حتى هذه الأحزاب نفسها لم تملك الأيديولوجية الراسخة التي تدعم وتدفع القضية أو تقنع الجماهير باعتناقها، وهو ما يتضح في برامج هذه الأحزاب التي ركزت على الدعاية

(1) Political Dic, Fast Time, Inc.

والبروباجندا، وكسب تأييد الجماهير في الداخل، ولكسب تأييد الرأي العام العالمي في الخارج، وكذلك تعويض الركائز الهشة للقضية، بدعم القوى والدول الكبرى، وباستغلال الأطماع الأوروبية في تركة الرجل المريض، والطموحات الروسية في الجامعة السلافية، وذلك باتّباع النموذج البلغاري، حتى تطور الأمر، فصار الأرمن هم الحلفاء الصغار للقوى الكبرى في الحرب العالمية الأولى.

وقد تزعمت بريطانيا القوى الكبرى المؤيدة لانقسام تركة الدولة العثمانية، كما تزعمت الحركة المعادية للأتراك المسلمين على الأخص في ظل حكومة جلادستون وخلفائه في حزب العمال. وكانت الصحافة البريطانية تشن حملات شعواء ضد السلطان العثماني ودولته.

وقد أمدتها القضية الأرمنية بمادة سخية في شحذ الرأي العام البريطاني والأوروبي وتهيئته لتأييد الحرب ضد هذه الدولة، التي كان يراها الغرب بمنظار خاص.

هذه الدعاية الصارخة كان لها أثرها وتاريخها في الولايات المتحدة الأمريكية كما وصفها المفكر اليهودي الأمريكي ناعوم تشومسكي[١]، وأوضح جوانب كثيرة من هذا التاريخ نتجت عن الحرب العالمية الأولى التي كانت نقطة تحول كبيرة غيرت

(١) مما يدعو للدهشة والحذر كذلك، موقف هذا المفكر من القضيتين الأرمنية والفلسطينية، ولكننا نقبل هنا ما وصفته به الصحف: «أهم مفكر على قيد الحياة هكذا وصفته (نيويورك تايمز) يضاهي سيجموند فرويد، وألبرت أينشتين. هكذا قالت عنه صحيفة بوسطن جلوب، وهناك دراسة ذكرته أنه «أكثر شخص على قيد الحياة يتم الاستشهاد بأقواله، ويحتل المركز الثامن تاريخيًّا ضمن قائمة العشرة الأوائل من الأعلام الذين يُستشهد بأقوالهم على مر العصور. إنه نعوم تشومسكي اليهودي الأمريكي- من أصل روماني- المناصر للقضايا العربية والمدافع عن قضية فلسطين والمعارض الشرس لحرب فيتنام وغزو العراق والاعتداء المباشر أو المستتر على دول أمريكا اللاتينية. يعتبر تشومسكي مناهضًا عنيدًا لدور الدولة الأمريكية في توجيه الإعلام والسيطرة على مفاتيحه، وهو يناقش في مؤلفاته ومحاضراته مدى خطورة الإعلام الموجه، ويصفه بالآلة الجهنمية التي توجه الرأي العام.

من وضع الولايات المتحدة في العالم. ففي القرن الثامن عشر، كانت الولايات المتحدة بالفعل أكثر البقاع غنى، وبكل هذه المميزات ومع نهاية القرن الـ ١٩ كانت الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك الاقتصاد الأغنى، لكنها لم تكن اللاعب الأكبر في المشهد العالمي.

وخلال الحرب العالمية الأولى تغيرت العلاقة بشكل أكثر درامية، فصحيح أن الولايات المتحدة تمت لها السيادة بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن تغيرًا حقيقيًّا بدا بعد الحرب العالمية الأولى؛ إذ كانت المرة الأولى التي تشهد فيها البلاد- الولايات المتحدة الأمريكية- دعاية منظمة من قبل الدولة(١).

كان للبريطانيين وزارة للمعلومات، وكان بحاجة فعلية لذلك ليضمنوا دفع أمريكا للدخول إلى الحرب، وإلا واجهوا مشكلة صعبة. كانت مهمة تلك الوزارة بالأساس إرسال الدعاية التي تضم اختلافات كبيرة عن وحشية «الألمان المحبين للتدمير».

ويستمر تشومسكي: «أما في الولايات المتحدة نفسها فكان نظيرهم الرئيس ويلسون الذي انتخب في ١٩١٦ على أساس معاداة الحرب، الولايات المتحدة كانت دولة سلامية.. الناس لم تكن ترغب في حروب خارجية، كانت معارضة تمامًا للحرب العالمية الأولى، وكان انتخاب ويلسون مرتبطًا بهذا الأمر.. فقد كان شعار البلاد وقتها هو «السلام دون انتصار»، ولكن ويلسون كان ينوي الذهاب للحرب، وبقي السؤال: كيف يمكنك أن تحول شعبًا يبغي أفراده السلام إلى مجانين مناهضين للألمان، ولديهم الرغبة في الذهاب لقتلهم؟! إن ذلك يستدعي دعاية- بروباجندا-.

---

(١) نعوم تشومسكي: تواريخ الانشقاق، حوارات أجراها: ديفيد بارساميان، ترجمة: محمد النجار، الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط : ١ ، ١٩٧٧، ص: ٢٢٣.

وهكذا أنشأت الدولة أول وكالة دعاية في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية «لجنة المعلومات العامة» التي سميت أيضًا لجنة « كريل Creel»؛ لأن الشاب الذي أدارها كان يدعى كريل، وكان مهمة اللجنة أن تقوم بالدعاية بين الناس لتخلق حالة من الهستيريا السوفيتية- أي الغلو في الوطنية- ووصفها المعلقون بأنها عملت بشكل رائع؛ ففي غضون شهور قليلة كان سعار الحرب يجتاح البلاد، وأصبح بإمكان أمريكا الدخول للحرب(١).

وكانت الدعاية في المجال غير الصحفي متمثلة في الكتب الأربعة الأكثر شهرة التي نشرت في عواصم الحلفاء: لندن، باريس، بوسطن، بل في إحدى دول المحور- ألمانيا- وهو كتاب الدكتور القسيس ليبسوس.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وانتهاء عملية الـ Nemsis ، واغتيال القادة العثمانيين الذين اعتبرهم الأرمن هم المسئولون الرئيسيون عن التهجير وما أسموه الإبادة الجماعية؛ هدأت المسالة الأرمنية.

دوافع الدعاية الأرمنية:

أحد الأبعاد الأكثر أهمية في القضية الأرمنية هو البعد النفسي، إذ أن التحليل السيكولوجي لبواعث هذه القضية وأسبابها وعوامل تفاقمها ولأحداثها؛ يكشف الكثير من الغوامض التي أدت إلى الأحداث المأساوية التي راح ضحيتها الكثيرون أثناء فترات اشتعال هذه القضية بداية من عام ١٨٧٨م، وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى. وهو ما يحتاج إلى دراسة مستقلة، لكننا هنا سنلقي بعضًا من الضوء على دوافع الدعاية الأرمنية التي أدت إلى إيقاظ من جديد في بلدان المهجر.

(١) المرجع السابق نفسه، ص: ١٦٨.

العلاقات ما بين الأرمن والأتراك في المهجر سيئة للغاية، إذ يعتقد الأرمن في حقيقة واحدة مؤكدة هي أن الأتراك ذبحوا أسلافهم من أجل الحفاظ على الهوية الوطنية. ادعاء الإبادة الجماعية مترسخ في نفوسهم ترسخ عقيدتهم المسيحية، فهي الحقيقة التي تثبت هويتهم الأرمنية، ويمكننا اعتبارها أقوى رابطة تجمع الأرمن في المهجر، وهي الحبل المتين الذي يعتصمون به فيربطهم ببعضهم البعض في المهجر، ويربطهم جميعًا في مهجرهم بالوطن الأم، وبالماضي الأرمني.

ويتجلى ذلك في مجالات الأعمال المختلفة التي يعمل بها الأرمن، والتي يحرصون أن تأخذ أسماء تذكرهم بالإبادة الجماعية، فنجد اسم «أرارات»- مثلًا- يتكرر كثيرًا جدًّا في أسماء المدارس والمطاعم والمحلات والشركات والمنتجات في الولايات المتحدة وكندا(١).

الأجيال الأرمنية اللاحقة لم ترَ شرف الأناضول ولا الوطن الأرمني الأم، وقد وجدت هويتها في المجتمعات الجديدة التي تعيش فيها في المهجر، وفي حياة الشتات تلك، لم يكن ثمة شيء مشترك يجمع هؤلاء الأرمن وأجيالهم الجديدة، من تقاليد أو لغة أو ثقافة مشتركة أو شيء يميزهم كأمة؛ فقد اصطبغت شخصياتهم وثقافتهم تبعًا لثقافة وهوية الدول المضيفة لهم. وعلى سبيل المثال نجد الأرمن الشباب في لندن يحتفلون بعيد الميلاد المجيد في الخامس والعشرين من ديسمبر، بينما المسنُّون الأرمن يحتفلون به في السابع من يناير وفق التقاليد الأرمنية(٢).

ولكون الجمهورية الأرمنية بلادًا طاردة للسكان لطبيعتها الجغرافية والمناخية القاسية، وكذلك لمواردها الطبيعية الفقيرة؛ مما جعل الاستيعاب يتم خارج أرمينيا.

---

(1) Armenian Studies, Vol. I, No.:3,2001,P.: 233- 257.

(2) Armenian Studies, Vol. I, No.:3, 2001, P.: 233 -257.

وبلاد المهجر هي المستقبل للأجيال الجديدة. في مثل هذه الظروف كان من الصعب إيجاد روابط قومية سوى مشروع أو هدف قومي مشترك، وهو ما يتمثل في النجاح أو الألم، ويبدو أن كليهما كان موجودًا لدى الأرمن، أو بمعنى أصح هم قد أوجدوه، فالنجاح راجع بدرجة كبيرة إلى طبيعتهم التي اعتادت على التميز والبروز في عدة مجالات، والألم راجع إلى استعدادهم الكبير للإيمان بادعاء الإبادة الجماعية.

ومن اللافت للنظر أن الكراهية الأرمنية ضد الأتراك لم تكن موجودة بدرجة كبيرة في الجيل الأول من المهاجرين، مثلما هي موجودة وقوية في الأجيال اللاحقة، وعندما وجد الشتات الأرمني استقرارًا ما في النصف الثاني من القرن العشرين، ظهرت منظمات أرمنية جديدة معلنة عن حاجتها إلى هوية أرمنية. وقد وصلت الكنيسة الأرمنية، وكذلك الجماعات الأيديولوجية الأرمنية إلى النتيجة ذاتها، التي مؤداها أنه الأسلوب الوحيد للحصول على هذه الهوية والرابط هو الراديكالية والأيديولوجية الدينية، وكانت أحداث ١٩١٥ معينًا لا ينضب من الألم والكراهية، والروابط التي تشكل اللبنات الأولى للهوية الأرمنية في الشتات[(١)].

وتكثفت الأنشطة الدعائية لترسيخ ادّعاء الإبادة الجماعية، ونجحت هذه الدعاية في اختلاق كراهية ضد الأتراك أكثر عمقًا في الجيل الثاني والثالث، إذ بدت من التعليم في المراحل المبكرة، وعلى استمرار السنوات الدراسية وطوال الحياة في الكنيسة والإعلام والمنظمات الأرمنية، وامتدت عبر دول العالم، حتى صارت الإبادة الجماعية هي المبرر الأوحد لوجود وعمل الكثير من المنظمات والكنائس الأرمنية، والمصدر الأوفر والأغنى لجمع التبرعات لديها[(٢)].

---

(1) I bid.

(2) I bid.

كما نشط المهاجرون في كتابة مذكراتهم. ومن الطبيعي أنهم كتبوا تجاربهم ووصفوا الأحداث من وجهة نظرهم، وبما يظهرهم كأبطال أو ضحايا، وبما يظهر الأتراك المسلمين كشعوب همجية وبربرية بعيدة عن التحضر والمدنية والإنسانية، بما يتوافق مع الفكرة السائدة لدى الغربيين عن الأتراك والمسلمين، والتي ترسخت على مدار أحقاب طويلة وعوامل كثيرة معقدة. وكثرت هذه الكتب والمذكرات ولاقت رواجًا كبيرًا ، وصارت جزءًا لا يتجزأ من المكتبات الغربية، وترجمت إلى لغات عدة، ورَوَّجت لها المنظمات الأرمنية، بل دخلت الإبادة الجماعية إلى أروقة المؤسسات التعليمية وصارت جزءًا من المناهج الدراسية.

كما كان المجال الفني من سينما ومسرح من المجالات التي برع فيها الأرمن، وصارت أحداث ١٩١٥ ومأساة الإبادة مصدرًا رئيسيًّا في أعمالهم الفنية؛ فأنتجت أفلامًا وأعمالًا فنية أخرى عن هذه المأساة، ولاقت تلك الدراما رواجًا وقبولًا واسعًا؛ خاصة مع ما توافر لها من إمكانات إنتاجية ضخم نتيجة للتبرعات الشعبية والدعم المؤسسي من المنظمات الأرمنية، وما لقيه أبطالها من تكريم وحفاوة بالغة(١).

هكذا أعطيت القضية الأرمنية أو بالأحرى أعطى ادّعاء الإبادة الجماعية دفعة قوية، ولقي رواجًا ونجاحًا كبيرًا؛ مما جعله الموضوع الرئيسي لكل الفنانين الأرمن على اختلاف مجالاتهم ومشاربهم؛ فقد خصص المصورون الأرمن أجزاءً في معارضهم في لندن أو نيويورك في الإبادة الجماعية، وكرَّس الموسيقيون الأرمن أغانٍ عن ضحايا الإبادة، وكذلك المسرحيات والأفلام، حتى أن المخرج الكندي

(1)«Armenian in Hollywood «: Armenian Students Association Publication, 12 September, 2001.

هرانت اليانك Hrant Alyanak عندما قدَّم مسرحيته عام ١٩٩٧عن الإبادة الجماعية، قررت شركته «اليانك للإنتاج المسرحي» عرض مسرحية عن الأرمن بأنهم مساعدون ومتبرعون أسخياء(١).

من هنا صارت هناك مصالح مشتركة ما بين الفن والقضية، دخل الفن والقانون إلى عالم الاحتراف والشهرة والغنى جرَّاء عرض القضية، ودخلت القضية عالم الفن والسياسة والمجتمع عن طريق هؤلاء الفنانين، وحظي الجميع- المنظمات والفنانون والقضية- بمكانة راقية في المجتمع ودعمًا سخيًّا يدفع لمواصلة النشاط والرواج.

ونعرض فيما يلي لنماذج من المؤسسات الفنية الأرمنية وأنشطتها:

١- مؤسسة الفيلم الأرمني The Armenian Film foundation :

وهي من كبرى المنظمات الأرمنية الدعائية- إن لم تكن أكبرها على الإطلاق-، تأسست عام ١٩٧٩م، على يد ميخائيل أو مايكل هاجوبيان Michael Hagopoan، وقد قامت بإنتاج وتوزيع أفلام عن القضية الأرمنية فقط، وهي مؤسسة غير ربحية- أي أنها منظمة أرمنية تستخدم الفن فقط مجالاً لعملها ونشر أفكارها، تستفيد من الإعفاء الضريبي، وجمع التبرعات لدعم أنشطتها، مقرها الأساسي في ولاية كاليفورنيا، والجمهور المستهدف الرئيسي لها هم الطلاب؛ إذ تعمل المنظمة في المجال التعليمي والثقافي، وتنتج أفلامًا تعليمية، وتقدم منحًا تعليمية للطلاب الأرمن، وكذلك الطلاب من أقليات عرقية لها ظروف مشابهة للقضية الأرمنية لضمان الدعم المعنوي والجماهيري من هذه الأقليات.

---

(1) Hrag Vartanian: «The Armenian Stars in the Canadian Cultural universe». www.agbu.org,

تقوم هذه المؤسسة بعمل حملات ترويجية لمنتجاتها في الكثير من دول الغرب، ولها عدة مواقع على شبكة الإنترنت يتضح من بياناته عدد زوارها ومشتركيها أنها نالت رواجًا ونجاحًا كبيرًا.

كما قدمت المؤسسة منحًا ومساعدات ودعماً فنيًّا وتكنولوجيًّا لعدد من المخرجين الأرمن في أعمالهم الخاصة بالقضية الأرمنية.

كان من أبرز مشاريع المؤسسة إنشاء أرشيف للفيلم الأرمني، متاح لكل المنظمات الإعلامية والباحثين في الدول التي لها فروع أو اتصالات بها مثل: بريطانيا، اليابان، أستراليا، البرازيل، إسرائيل.

وللمؤسسة فريق كبير من الخبراء يشارك في الكثير من المؤتمرات داخل الولايات المتحدة وخارجها؛ بعرض وجهة نظر المؤسسة، ويعرض أفلامها كذلك.

كما تنظم المؤسسة مهرجانًا نصفَ سنويٍّ للأفلام الأرمنية[1].

٢- شركة الفيلم الدولي Film International:

وتقع في لوس أنجلوس، وهي شركة متخصصة في إنتاج وتوزيع أفلام الفيديو الأرمنية فقط[2].

٣- مؤسسة الفردوس MGN/Paradise. inc :

وهي شركة قوية تعمل في مجال الإنتاج السينمائي الأرمني، لها فروع في موسكو ويريفان، ولوس أنجلوس. ولها معاملات مع مجموعة القنوات التلفزيونية المهمة في عدة دول[3].

---

(1) Armenian Film Foundation (AFF) www.armenianfilm.org .

(2) Film International, www.armenianfilm.org .

(3) MGN/Paradise. Inc, www.mgnparadise.com.

٤- شركة أفلام القوس Are Film :

وهي شركة أفلام تعمل في مجال الإنتاج الرقمي، أسسها روجر كوبيليان Roger Kopelian عام ١٩٩٤، وقد أنتجت الشركة عددًا من الأفلام الشهيرة في القضية الأرمنية، وتقوم بالترويج لمنتجاتها عبر صلاتها بالكثير من مواقع الإنترنت، وعبر مواقعها الخاصة[١].

٥- مؤسسة بارس للإعلام Bars Media:

وهو أستوديو لإنتاج وتوزيع الأفلام التسجيلية والوثائقية، مقره الرئيسي في يريفان، وله صلات بالعديد من القنوات التلفزيونية الدولية، ويقوم بإنتاج أفلامه بالتعاون مع الكتلة السوفيتية- سابقًا-، وكذلك المنظمات الأرمنية في المهجر، كما عمل في مشاريع مشتركة مع وكالات دولية مثل الأمم المتحدة، واليونيسكو وغيرها من المنظمات الدولية الكبرى[٢].

بالإضافة إلى هذه النماذج من المؤسسات الفنية العاملة في دعم القضية الأرمنية من خلال الميديا؛ هناك أيضًا مؤسسات وجمعيات أخرى تقوم بأنشطة إعلامية ودعائية لدعم القضية الأرمنية، أو دعم الدعاية الأرمنية.

ومن هذه المؤسسات:

١- الجمعيات الطلابية الأرمنية:

وقد صارت في السنوات الأخيرة أكثر نشاطًا عن ذي قبل، وتقوم بتقديم «خدماتها» في الجامعات الغربية عن طريق عرض الأفلام الوثائقية والتسجيلية وكذلك الأفلام السينمائية على الطلاب والمثقفين من الكادر الجامعي، بل إنها تنظم

---

(1) Are Film. www.arefilm.com

(2) Bars Media Documentary film Studio, www.barsmedia.com

مهرجانات للأفلام الأرمنية داخل الحرم الجامعي، وتتلقى دعمًا من الجامعة عن هذه الأنشطة الثقافية والفنية، وكان أبرز مثال لهذه هو مهرجان السينما الأرمنية الذي تم في ولاية كاليفورنيا عام ٢٠٠١م(١).

٢- الكنيسة الأرمنية:

يمكننا اعتبار النشاط السياسي الأبرز للكنيسة الأرمنية في سبيل القضية الأرمنية؛ هو نشاطها في صناعة السينما، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، فهي داعم رئيس في إنتاج الأفلام وتمويلها، وإيجاد قاعات لعرضها، واستخدام علاقاتها واتصالاتها مع المنظمات الدينية لمشاركتها في توفير قاعات لعرضها ودعمها معنويًّا.

والمثال الحاضر لهذا هو عرض فيلم (أصوات من البحيرة Voice from the lake) في الكنيسة الأرمنية في ريتشموند بولاية فرجينيا(٢).

ولعله من الواضح أن عرض هذه الأفلام داخل القاعات الكنسية أو تحت رعايتها؛ يعطي صيغة دينية قوية لهذه الاتهامات، وصيغة أيديولوجية للمشكلة الأرمنية، ناهيك عن الصبغة المسيحية والدولية للمشكلة مقابل التصعيد الإعلامي ضد «الإرهاب الإسلامي» بعد أحداث ١١ سبتمبر.

٣- اللوبي الأرمني:

يتركز السكان الأرمن ككتل عرقية في مناطق ومدن معينة، وهو ما يسهل لهم أن يصبحوا قوة انتخابية ذات ثقل، تستطيع أن تملي رغباتها على المرشحين وتكتسب من

---

(١) San-Francisco Armenian Film Festival, www.viparmenia.com

(2) I bid.

ذلك أفضل الفرص والعروض، بل وأن تدفع هي بشخصيات أرمنية في المجالات السياسية لترتقي مناصب مرموقة في مجتمعات ودول المهجر. وكلا الجانبين له مردوده الداعم للقضية الأرمنية والدعاية الأرمنية.

إذ تتوافر القاعات الحكومية المجانية للعروض والحفلات والمعارض الأرمنية بل والفنانين كذلك، وهي منافع متبادلة بين الفنانين والقضية الأرمنية في تبادل العمل والشهرة تحت الدعم الحكومي الكامل، الذي يوفر- أيضًا- المصداقية للجميع(١).

ونجد الدول الأنجلو سكسونية- مثل إنجلترا- توفر دعماً للمجموعات العرقية على أراضيها، وتوفر الحكومات المحلية لديها مساعدات مادية ومعنوية لهذه الأقليات لنشر صحف ومجلات ونشر ثقافتها الخاصة والتواصل مع المجتمع المحلي.

وعلى سبيل المثال أسس الأرمن في لندن جمعية (CAIA) في مبنى حكومي مجاني، واستخدام الدعم المادي الحكومي في نشر الكتب الأرمنية والمترجمة، وكان من أبرز أنشطة هذه الجمعية الدعم الكامل الذي أعطته للفيلم الأرمني الشهير «أرارات» ومخرجه أتوم إجويان. كما شاركت الجمعية في مهرجانات السينما الأرمنية، ومنها مهرجان الفيلم الأرمني الذي يعقد في لندن، وتعرض فيه الأفلام باللغتين الإنجليزية والأرمنية(٢).

---

(1)Erol Goka: « Ermeni Sorunu» nun (Gozden Hacan) psikolojik boyutu» Ermeni Arastirnealare Saye, 1, Ankara, Mays 2001, S. 128 -138.

(2) Armenian Studies, vol. 1, No.: 4, 2002, P.: 155197-, George Robertson: Aseventenn years overnight success. .

٤- المهرجانات السينمائية الدولية:

لا تعتمد الدعاية الأرمنية فقط على المهرجانات السينمائية الأرمنية التي تركز على قضايا "الإبادة الجماعية"، وإنما تشارك بأفلامها في المحافل والمهرجانات السينمائية التي تدافع عن حقوق الأقليات الأخرى والقضايا المشابهة، كما تشارك الأفلام الأرمنية أيضًا في المهرجانات السينمائية العالمية، مثل:

- مهرجان تورنتو السينمائي (كندا).
- مهرجان كان السينمائي (فرنسا).
- مهرجان نيويورك السينمائي (الولايات المتحدة الأمريكية).
- مهرجان فلادلفيا للسينما العالمية (الولايات المتحدة الأمريكية).
- مهرجان روتردام السينمائي الدولي (هولندا).
- مهرجان جوتنبرج السينمائي (الدانمارك).

وثمة مهرجان دولي لأفلام الأقليات عقد في برلين عام ٢٠٠٤م شارك فيه الأرمن بشكل مميز[١].

٥- الأناجيل الأربعة للمسألة الأرمنية:

لم تحظ الكتب التي نشرت عن المسألة الأرمنية بما حظيت به أربعة منها باعتبارها مصادر أساسية لشهود عيان معاصرين للأحداث، ويكاد يكون مؤلفوا هذه المصادر الأربعة هم أصحاب أناجيل القضية الأرمنية، وما زالوا حتى اليوم يشكلون المصدر المعتمد لكل الكتاب حول المسألة، وصارت تعبيراتهم مُسَلّمات تاريخية، وكلماتهم اقتباسات ثرية للخطب والشعارات التي تلهب حماس القضية وأصحابها.

(1) One world Berlin, 2004, (One world international Human Rights Festival- Berlin, 2004).

وقد أُخضعت بعض هذه المؤلفات وأصحابها للبحث والتحري؛ لمعرفة دوافعهم وأيديولوجياتهم، والظروف المحيطة بهم وبمؤلفاتهم، لكن البعض الآخر ما زال يحتاج إلى البحث والتحري، بل وما زالت كلها تحتاج إلى جهود أكبر في مواصلة البحث عن العلاقات بين هذه المؤلفات، والعلاقات أيضًا بين مؤلفيها، ثم نشر هذه النتائج على نطاق واسع، يقارب- إلى حد ما- النطاق الذي انتشرت فيه هذه المؤلفات والمؤلفات الأخرى التي اعتمدت عليها بشكل رئيسي.

وهذه الكتب ومؤلفوها كالتالي:

١- كتاب حرره ليبسوس بعنوان: «التقرير السري للدكتور جوهانس ليبسيوس عن مذابح الأرمن» والذي طبع في باريس عام ١٩١٨ [1].

٢- كتاب «معاملة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية»، وهو مجموعة شهادات جمعها السياسي البريطاني اللورد برايس عما يسمى بـ «الجينوسيد»، شرحها ونسقها وعلق عليها المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي، ثم قدمها إلى اللورد برايس إلى اللورد جراي وزير الخارجية البريطاني، فقام جراي بتقديمها إلى البرلمان البريطاني. وهي مطبوعة في لندن عام ١٩١٦ باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وقد اشتهر- أيضًا- بعنوان «الكتاب الأزرق»[2].

٣- ثم كتاب آرنولد توينبي نفسه المعنون «الفظائع ضد الأرمن؛ مقتل أمة»، والمنشور بالإنجليزية في لندن عام ١٩١٥ [3].

---

(1) Johannes Lepsius: Le rapport Secret du Dr. Johannes Lepsius Sur les Massacres d'Armenie, Paris, 1918.

(2) James Bryce: Treatment of the Armenia in the Ottoman Empire, London, 1916

(3)Arnold Toynbee: Armenian Atrocities: Murder of Nation, London, 1915.

٤ - وأخيرًا مذكرات السفير الأمريكي في إستانبول في بدايات الحرب العالمية الأولى هنري مورجنثاو، وكتابه: "قصة السفير مورجنثاو" الذي بدأ نشره في نيويورك سنة ١٩١٨ (١).

واللافت للانتباه في هؤلاء الأربعة ومؤلفاته، بل والمثير؛ هو العلاقة بين هؤلاء الأربعة، واشتراكهم في المصادر التي استقوا منها، واشتراكهم كذلك في الدوافع والظروف التي هُيّأت لتصنيف هذه المؤلفات.

وقد خَصَّصت هذا الكتاب لمناقشة ونقد هذا الكتاب الأخير، مذكرات السفير الأمريكي؛ لعل الله ييسر لنا أمرنا في استكمال مناقشة ونقد الكتب الثلاثة الباقية؛ بحثًا عن الحقيقة، الحقيقة فقط.

(1) Henry Morgenthau: Ambassador Morgenthau's Story, New York, 1918.

القصة التي وراء «قصة السفير مورجنثاو»

مقدمـة

هنري مورجنثاو، متعهد عقارات بمدينة نيويورك، شغل منصب مدير اللجنة المالية للحزب الديمقراطي أثناء حملة الانتخابات الرئاسية لـ «وودرو ولسن» ١٩١٢، وبعد انتخاب ولسن حصل كمكافأة على وظيفة سفير لدى الإمبراطورية العثمانية، وقد رفض في بادئ الأمر هذه الوظيفة إذ أنها الوظيفة الدبلوماسية الوحيدة المناسبة لليهود الأمريكان. إلا أن التدخل الشخصي للرئيس «ولسن» وإلحاح حاخام نيويورك «ستيفن وايز» أقنعاه مع ذلك بإعادة النظر في العرض، وقد وصل «هنري مورجنثاو» وعمره ٥٨ عامًا إلى القسطنطينية العاصمة العثمانية في ذلك الوقت؛ ليتسلم مهام منصبه في ٢٧ نوفمبر ١٩١٣ حيث بقي في هذا المنصب ستة وعشرين شهرًا عاد بعدها إلى الولايات المتحدة في فبراير ١٩١٦.

كتابه «قصة السفير مورجنثاو» المكتوب بعد سنتين من عودته، يحكي «تاريخ» دخوله في عالم الدبلوماسية الدولية.

إن أثر الكتاب المعروف بعنوان «قصة السفير مورجنثاو» ليس له مثيل، خاصة عندما يتعلق الأمر بفهم الطريقة التي تقوم بموجبها أجيال متعاقبة من الأمريكيين بتكوين صورة معينة عن بلد ما وشعب ما، فهذا الكتاب كان عنصرًا أساسيًّا في التيار الجارف المضاد للأتراك الذي عاشه الرأي العام الأمريكي في سنة ١٩٢٠ وما بعدها والذي ما زالت توابعه ظاهرة، فكتاب «مورجنثاو» ما زال معتبرًا كمادة أولية للاعتقاد السائد بأن حكومة الإمبراطورية العثمانية «تركيا الفتاة» ارتكبت مع سبق الإصرار مذبحة ضد أقليتها الأرمنية بحجة قيام الحرب العالمية الأولى.

هذه الدراسة ليس هدفها توضيح مسألة معرفة إذا ما يمكن اعتبار الأرمن العثمانيين كضحايا «إبادة جماعية» أم لا!، على العكس هذه الدراسة أعدت لإعادة

النظر في مدى مصداقية سفير الولايات المتحدة «هنري مورجنثاو» كمصدر لتاريخ تلك الحقبة كما وضعها في كتابه هذا التوضيح ضروري؛ خاصة وأن الأطراف المعنية بموضوع (العلاقات التركية/ الأرمينية) خلال الحرب العالمية الأولى سواء كانوا أتراكًا أو أرمن يميلون إلى تقدير مواقفهم الخاصة من وراء حجاب ودون أن يأخذوا في الاعتبار مضمونًا أوسع.

فبالنسبة للأرمن، أية إعادة طرح لموضوع مصداقية «قصة السفير مورجنثاو» كمصدر لتأريخ فترة الحرب، سوف تعتبر- حتمًا- كأمر معادل لتكذيب «الإبادة الجماعية». أما بالنسبة للأتراك، فإن إعادة طرح قضية مصداقية «مورجنثاو» سوف تعتبر- على العكس- كإدانة للاتهام الأرمني بالإبادة الجماعية.

لا هذا التفسير ولا ذاك يمكن- في رأي المؤلف- يدخل في نطاق هذه الدارسة.

أود أن أعبر عن امتناني لجوستين ماكرثي الذي ساعد بقراءته المتأنية وتعليقاته القيمة في إبراز قيمة هذا العمل، أما عيوبه فهي مسئوليتي وحدي. كما أني أقدم شكري أيضًا لليميجول أكار لمساعدته الصادقة في إعداد هذا العمل للنشر.

واشنطن

هيث و. لوري

١٢ يوليو ١٩٩٠

الفصل الأول
لماذا كُتب هذا الكتاب!؟

الرئيس الأمريكي «ولسن» شجع «مورجنثاو» على تأليف كتاب مناهض لألمانيا وتركيا؛ لإقناع الأمريكيين بضرورة الاستمرار في الحرب حتى النصر.

... ووفقًا إلى ما رمى إليه «مورجنثاو» منذ البداية، فإن قصته صممت كدعاية للحرب، أي كدعم لجهود حرب الحلفاء.



السيدة/ مورجنثاو (على اليمين)،زوجة السفير الأميركي في القسطنطينية، مع سيور جين (على اليسار)، رئيسة المستشفى الفرنسية



القسطنطينية من السفارة الأمريكية تظهر (في وسط الصورة)،والمباني في وزارة البحرية، على القرن الذهبي الشهير، وذلك خارج المدينة

إن أي تحليل لأصول «قصة السفير مورجنثاو» يجب أن يبدأ بدراسة الخطاب الذي أرسله السفير «مورجنثاو» في ٢٦ نوفمبر ١٩١٧ لصديقه وموضع ثقته- رئيس الولايات المتحدة وودرو ولسن-؛ لأن في هذا الخطاب الذي لم ينشر إلى الآن، يعرض «مورجنثاو» فكرة كتابة كتاب، وكذلك الأهداف التي دفعته إلى ذلك. وقد تضمن خطابه نداءً بطلبه مباركة الرئيس لهذا المشروع. وفي الحقيقة كان هدفه الوحيد يكمن في إثارة الرأي العام لمساندة المجهود الحربي للولايات المتحدة، وذلك عن طريق ممارسة عمل دعائي ضد ألمانيا وضد تركيا يرمي إلى «تحقيق النصر لسياسة الحرب الحكومية»، وليس غريبًا حصول «مورجنثاو» على مباركة الرئيس، فقد عبّر كتابةً عن مشروعه لولسون بالعبارات التالية:

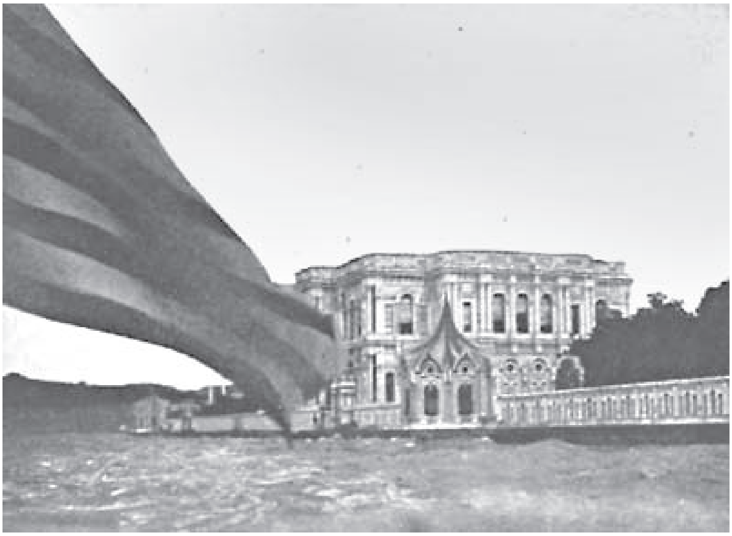
«.. لقد وهن عزمي من قوة المعارضة المعلنة، ومن فداحة اللامبالاة حيال الحرب، وكذلك من غياب الحماس لدى هؤلاء الذين يساندون الحرب.

.. أفكر في كتابة كتاب؛ حيث أكشف- ليس فقط تدخل ألمانيا في تركيا وفي البلقان- ولكن هذا النظام كله وكما يبدو في كل بلد في العالم، ففي تركيا تظهر الروح التشاؤمية لألمانيا في أسوأ صورها، حيث أدت إلى أبشع جريمة عرفها التاريخ، ألا وهي مذبحة الأرمن والسوريين. إن هذا الموضوع خاصة وتآمر ألمانيا سيؤثر حتماً في الجماهير الأمريكية في المدن الصغيرة وفي المناطق الريفية للبلاد، كما لا تستطيع أن تفعله أي ظاهرة أخرى للحرب وسوف تقنعهم بضرورة الاستمرار في الحرب حتى النصر.

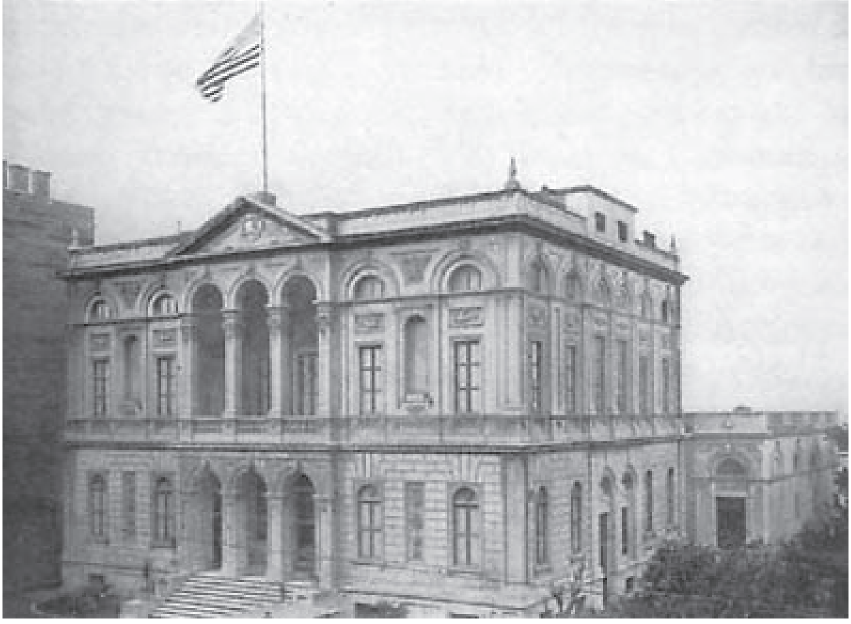
يجب علينا الانتصار لسياسة الحرب الحكومية وذلك بأن نأخذ في الاعتبار كل إجراء وكل وسيلة شرعية للوصول لذلك»[(١)].

---

(١) أهم مجموعة عامة من المستندات عن حياة وعمل السفير هنري مورجنثاو (١٨٥٦ - ١٩٤٦) موجودة بمكتبة الكونجرس بواشنطن في قسم المخطوطات تحت عنوان «أوراق هنري مورجنثاو» قرابة ٣٠٠٠٠ مقالة تحت تصرف الباحثين في شكل مجموعة من ٤١ بكرة ميكروفيلم. في هذه الدراسة، سنرمز إلى هذه المجموعة بالرمز التالي LC : PHM. متبوعة بتاريخ.
بالنسبة لهذا المستند، الرمز هو LC: PHM. Bobine رسالة هنري مورجنثاو إلى الرئيس وودرو ولسن، ٢٦ نوفمبر ١٩١٧.



قصر بيلربي على مضيق البوسفور؛ حيث إقامة السلطان عبد الحميد بعد خلعه الوقت حتى وفاته مؤخرًا



السفارة الأمريكية في القسطنطينية؛ حيث أجرى السفير الأميركي مورجنثاو الشؤون الدبلوماسية من خريف ١٩١٣ إلى ربيع عام ١٩١٦ . والمسئول عن شؤون تسع دول أخرى أثناء الحرب.

هذا ما قاله مورجنثاو..

تهدف هذه الدراسة في أبسط صورها إلى تحديد إذا ما كانت «قصة السفير هنري مورجنثاو» وفيّة لمنهج مؤلفها، أي استخدام «كل وسيلة شرعية» لبلوغ الهدف المحدد ألا وهو إقناع «الجماهير الأمريكية» بمساندة الحرب.

بعد أقل من عام من تاريخ رسالة مورجنثاو إلى ولسون، تم نشر الكتاب على شكل حلقات شهرية في أشهر مجلات الولايات المتحدة The World's Work (مئة وعشرين ألف نسخة)(١).

تم إعادة نشر هذه الحلقات في أكثر من اثنتي عشرة من كُبريات صحف البلد التي يصل عدد نسخها الإجمالي إلى ٢٦٣٠٢٥٦ نسخة (٢).

---

(١) كانت The World's Work مجلة شهرية يمتلكها عندئذ «دبل داي، باج وشركائهم» الناشرون بنيويورك، وقد بدأت المجلة في شهر أبريل ١٩١٨ بنشر مقالة « بورتن ج. هينريك» عنوانها: «قصة السفير مورجنثاو.. مقالة تمهيدية»، ثم قامت المجلة بين شهري مايو ونوفمبر بنشر سبع ملازم لمقتطفات من كتاب مورجنثاو، ويرجع الفضل في زيادة بيع أعداد المجلة The World's Work للأستاذ روبيرج روسناك من جامعة روزاري بولاية ألينوي الذي كرّس رسالته للدكتوراه لدراسة هذه الجريدة وأثرها.

(٢) ثاني أكبر مجموعة من مستندات مورجنثاو توجد في المكتبة الرئاسية فرانكلين ديلانو روزفلت بهايد بارك بنيويورك، حيث يشكل جزءًا من المجموعة المعنونة «مستندات مورجنثاو الابن» الابن الوحيد للسفير مورجنثاو والعضو لعدة سنوات في حكومة فرانكلين روزفلت.

هذه المجموع مقسمة إلى إحدى عشرة جزءًا يحتوي الجزءان ٨ ، ١٠ منها على مستندات متعلقة بالسفير مورجنثاو ، وخاصة الجزء رقم ٨ (ملف جاير) وهي عبارة عن مجموعة من المراجع جمعها جوزيف جاير معاون مورجنثاو الابن، عن سيرته الذاتية غير المنشورة. في هذا الجزء توجد نسخة مكتوبة على الآلة الكاتبة لكل المراسلات بين السفير مورجنثاو وابنه، ومستندات هذه الأجزاء الواردة في هذه الدراسة تستظهر بالرمز التالي: FD: HMJ/ Gaer Boite no .

الجزء رقم ١٠ المعنون «مستندات هنري مورجنثاو الأب» مكوَّن أساسًا من خطابات أعمال ومراسلات شخصية، وقد ذكرت في هذه الدراسة مراجع هذه المجموعة بالرمز FD: HMs/ Gaer Boite no.

أعداد مبيعات الصحف التي نشرت كتاب السفير مورجنثاو توجد في رسالة من فرانك دبل داي من دار نشر دبل داي باج وشركائهم لناشر مورجنثاو إلى هنري مورجنثاو الأب بتاريخ ١٧ أكتوبر ١٩١٨ (FDR: HMS/ Boite no 12) في الأصل كانت قائمة بالصحف التي نشرت هذه المقتطفات مرفقة بالرسالة إلا أن هذه القائمة للأسف فقدت أو فصلت عن الرسالة.

حيث إنني عملت في مكتبات ودور محفوظات العديد من البلاد فلن أكون وفيًّا إذا لم أعبر عن امتناني واعتزازي بالجميل لجميع العاملين بمكتبة روزفلت الذين جعلوا من إقامتي القصيرة في هايد بارك متعة عظيمة، وقد استفادت أبحاثي بصفة خاصة من المساهمة الكريمة للسيدة سوازان والتر أمينة محفوظات الوسائل السمعية والبصرية.



السيد مورجنثاو يقف على شرفة السفارة الأمريكية في القسطنطينية. الصبيان هما حفيداه: هنري ومورتيمر. الفتاتان هما ابنتا السفير السويدي في تركيا



طلعت باشا الصدر الأعظم لتركيا في عام ١٩١٤، عندما اندلعت الحرب كان طلعت وزير الداخلية والزعيم الأكثر نفوذًا في لجنة الاتحاد والترقي، والتنظيم السري الذي يسيطر على الإمبراطورية التركية. وقبل بضع سنوات كان طلعت ناقل خطابات، وبعد ذلك عامل التلغراف في أدرنه. مواهبه هي تلك التي بوأته مناصبه السياسية الكبيرة. إنه يمثل تركيا في مفاوضات السلام مع روسياً وتوقيعه يظهر في بريست ليتوفسك

الكتاب نفسه تم نشره بصخب كبير بمعرفة دبل داي، باج وشركائهم[١]، وحقق في هذا التاريخ مبيعات وصلت إلى عدة آلاف من النسخ (في أول يوليو من العام التالي وصلت المبيعات إلى ٢٣٤ , ٢٢ نسخة)[٢].

إجمالًا إن هدف «مورجنثاو» بالإسهام في مجهودات حرب الولايات المتحدة بكتابة كتاب يمكن وفقًا لقوله: «أن يؤثر على الجماهير الأمريكية في المدن الصغيرة ومناطق البلاد الريفية أكثر مما يمكن أن يفعله أي مظهر آخر من مظاهر الحرب»[٣].

هدف قد تحقق بصورة تفوق كل آماله بالفعل، بمجرد أن بدأت The World's Work نشر حلقات الفصول الأولى من كتابه في مايو ١٩١٨،

(١) FDR: HMS/ Boire no 12 (خطاب بتاريخ ١٧ أكتوبر من دابل داي إلى مورجنثاو يوضح أن الناشر وضع لوحات عرض لدى ما سي وبرنتانو ونا ميكي وسكرينبز وغيرهم، علاوة على إرساله- مقدمًا- نسخًا للخدمة الصحفية والكثير من النشرات الإعلانية.

(٢) ثالث أكبر مجموعة معلومات مستخدمة في هذه الدراسة هي المستندات الشخصية لبورتن ج. هندريك، وهو كاتب صحفي مميز، كان هندريك بالفعل «مساعدًا أدبيًا» لمورجنثاو، وقد وجدت اعتبارًا من إعلان وفاته في نيويورك تايمز (٢٥ مارس ١٩٤٩) آثارًا لحفيده المدعو هو بارت هندريك الابن من مدينة هامدن (هامدن) بولاية كونكتيكان، الذي أجاب بكرم على كافة أسئلتي، كما عرفني على ابنة خالته مارتا روسناك من مدينة ونفيلد بولاية الينوي- زوجة روبين روسناك أستاذ التاريخ بجامعة روزاري الذي قام بأبحاث عن جد زوجته، وقد تفضل الأستاذ روسناك بإعطائي نسخًا من العديد من المستندات، «مستندات بورتن ج. هندريك التي في حوزتهم»، هذه المستندات تحتوي على رسائل بين مورجنثاو وهندريك وخاصة على دراسة غير منشورة لروسناك عن هندريك عنوانها:

«To cast them in the heoic Mold: Court Biographers- The Case of Burton Jesse Hendrick».

وقد أخبرني الأستاذ روسناك أن هندريك ساهم في مشروع تاريخ شفهي «بجامعة كولومبيا، وتحاور مع آلان نيفنس قبل موته في ١٩٤٩.

المعلومات الواردة في هذه الدراسة عن مستندات هندريك والمقدمة من الأستاذ روسناك ستندرج تحت الرمز Hendrick / Rusnak عنوانه: « حساب الربح والخسارة حتى أول يوليو ١٩١٩ عن «قصة السفير مورجنثاو»، تأليف هنري مورجنثاو، هذا المستند الذي يحتمل أن يكون هنري مورجنثاو قد كتبه بنفسه يعطينا المجموع الكلي للمبيعات في هذا التاريخ أي ٢٢٢٣٤ نسخة.

(٣) LC: PHM. Bobrine no 8 خطاب هنري مورجنثاو إلى الرئيس ولسن بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩١٧.



المشاة والفرسان التركية. في كانون الثاني/ يناير ١٩١٤، كان الجيش التركي الرث قوة غير منضبطة. هذه القوات، تم العناية بها من قبل المدربين العسكريين الألمان، وتبين الصورة نتيجة ستة أشهر من التدريب



البستاني أفندي وزير سابق للتجارة والزراعة في الحكومة التركية. إنه جاء إلى السيد مورجنثاو في كانون الثاني/ يناير ١٩١٤، في التماس المساعدة الأمريكية في تأهيل تركيا ماليًّا

تلقى «مورجنثاو» عرضًا من هوليود لحقوقه في إنتاج فيلم عن «قصته»، هذا العرض كان مصحوبًا بوعد بـ ٢٥ ألف دولارًا لصالحه.

بعد تحمس مبدئي وكتابة سيناريو أوَّلي للفيلم (١) هبط حماس مورجنثاو، الذي كان على عتبة مهنة سينماتوغرافية، عند تلقي خطاب ثانٍ من الرئيس «ولسن» عبّر فيه عن رفضه التام بالعبارات التالية:

« أقدر لك استشارتك لي في مسألة معرفة إذا ما يمكن إنتاج الكتاب سينمائيًّا، وأقول لك بوضوح إني آمل ألا تفعل شيئًا بهذا الصدد. أعتقد شخصيًّا أننا ذهبنا بعيدًا جدًّا في هذا الاتجاه، إنها ليست فقط مسألة ذوق، لا أود- إطلاقًا- أن أستسلم لذوقي في مثل هذه المسألة، ولكنها مسألة مبدأ.. ليس هناك أية منفعة يمكن أن تقوم بها الآن خاصة بمذبحة الأرمن مثلًا، لاسيما وموقف البلد نحو تركيا قد تحدد، وليس هناك أي داع لتقويتها أكثر من ذلك(٢).

في أقل من عام سابق كانت موافقة «ولسن» التي طلبها مورجنثاو ليبدأ مشروعه- وفي الواقع لم يبدأ المشروع إلا بعد أن وافق ولسن- وكتب بذلك: «أرى أن خططك لكشف بعض مظاهر التآمر الألماني بالكامل ممتازة، وآمل أن تبدأ في كتابة ونشر كتاب يتحدث عنها» (٣).

---

(١) Hendrick/Rusnak : من بين المعلومات المقدمة من روبين روسناك والمتعلقة بتعاون مورجنثاو وهندريك توجد ٨ صفحات من مستند عنوانه:

«Proposal for Moving Picture on the : Near East Basecl to a considerable extern out on Ambassador Morgenthau’s Story».

في أعلى هذا المستند توجد الملاحظة التالية مكتوبة بخط اليد: «هذا المشروع الكبير الذي من أجله منحنا رجال السينما ٢٥٠٠٠ دولارًا قد توقف بسبب النهاية المفاجئة للحرب! بورتن جسي هندريك.

(٢) LC: PHM. Bobrine no 8 خطاب الرئيس ولسن إلى هنري مورجنثاو بتاريخ ١٤ يونيو ١٩١٨.

(٣) LC: PHM. Bobrine no 8 خطاب ٢٧ نوفمبر من الرئيس وودرو ولسن إلى هنري مورجنثاو: «أمر غريب بينما خطاب مورجنثاو إلى ولسن بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩١٧ لم ينشر أبدًا، أدرج مورجنثاو رد الرئيس في سيرته الذاتية ١٩٢٢ « Allig life time» نيويورك دابل داي وباج وشركائهم، ١٩٢٢ صفحة ٢٩٧، حيث يذكرها كسبب كتابته لهذا الكتاب.

عندئذ استجاب «مورجنثاو» للمساعي الأولى لكل من بورتن ج. هندريك ودبل داي وباج وشركائهم الذين يملكون World Work [(١)]، وبدأ المشروع يتخذ شكلًا عمليًّا.

يبدو إلى حدٍّ ما مدهشًا أن يتبادل رئيس للولايات المتحدة الأمريكية الرسائل مع سفير سابق في موضوع من هذا النوع، إلا أنه كان زمن حرب، وكما أوضحته منذ البداية فإن رسائل مورجنثاو/ ولسن شكلت «قصة السفير مورجنثاو» كجزء مكمل لرواية الرئيس ولسن، كان هناك رغبة في زيادة دعم جهود حرب، ولسن الذي شجع مورجنثاو على تأليف كتاب مناهض لألمانيا وتركيا؛ لإقناع الأمريكيين بضرورة الاستمرار في الحرب حتى النصر» [(٢)].

بعبارة أخرى، ووفقًا إلى ما رمى إليه مورجنثاو منذ البداية، فإن قصته صممت كدعاية للحرب، أي كدعم لجهود حرب التحالف (الحلفاء)، وإننا في مواجهة هذه الفكرة سنحاول معرفة كيف ومن كتب- حقيقة- هذا الكتاب، مع توضيح المشكلة الأكثر أهمية عن مدى مصداقية الرواية التي يؤكد سردها.

---

(١) FOR: HMS- Bobrine no 11 خطاب بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩١٧ من فرانك دابل داي وباج حيث يعلن مورجنثاو بأن السيد هندريك قد طلب مني ذلك، فقد قمت مرة ثانية بدراسة متأنية لإمكان كتابة كتاب عن تجاربي في تركيا، وقد قررت بصفة نهائية أن الوقت لم يحن بعد لنشره، إلا أنه لخيبة أمله في عدم وجود نداء شعبي لصالح الحرب، طلب بعد أسبوعين من تاريخ مباركة الرئيس لنشر الكتاب، وبمجرد تسليم خطابات فرنك دبل داي إلى هنري مورجنثاو بتاريخ ٢٣ نوفمبر و٥ ديسمبر ١٩١٧، وكذلك خطابات أركوبا إلى هنري مورجنثاو بتاريخ ٨ و٢٠ ديسمبر ١٩١٧ بعد هذا الخطاب الأخير، كانت كافة الاتفاقات على العقد كاملة.

(٢) LC: PHiy- Bobrine no 8 خطاب هنري مورجنثاو إلى الرئيس وودرو ولسن بتاريخ ٢٦ نوفمبر.

الفصل الثاني
من كتب هذه القصة!؟

إن مذكرات مورجنثاو في استانبول، والمكونة من يومياته ومن خطاباته العائلية، تم إعادة صياغتها مبدئيًّا مع مورجنثاو، وأندونيان، وهندريك، وتم تحرير النص بواسطة سكمافونيان لصالح الإدارة الأمريكية، وبعد ذلك كانت المراجعة الدقيقة بواسطة وزير الخارجية الأمريكي روبرت لانسينج (لأغراض تنفيذية)، وأخيرًا كتبت قصة السفير مورجنثاو بواسطة برتون هندريك.

مصادرنا التاريخية لكتاب «قصة السفير مورجنثاو»، عبارة عن مجموعتين من الأوراق الخاصة بمورجنثاو، والتي نجت من التلف والضياع، إحدى المجموعتين موجودة في مكتبة الكونجرس بواشنطن، وهي المودعة باسم (أوراق هنري مورجنثاو) (هيرافنز: DHM: LC)[١].

والمجموعة الثانية هي المودعة أيضًا باسم (أوراق هنري مورجنثاو) في مكتبة فرانكلين روزفلت في نيويورك (هيرافنز : FDR: HH)[٢].

هاتان المجموعتان تحويان عشرات الآلاف من صفحات الوثائق، يمكننا أن نضم إليهما العديد من المواد المنشورة وغير المنشورة، وأكثرها أهمية تلك الأوراق المعروفة لبرتون هندريك، والذي فاز بجائزة بلتزر للصحافة وكتابة التراجم والتاريخ [٣].

لم يكن «مورجنثاو» في حاجة سوى دعم الرئيس الأمريكي ويلسون؛ كي يبدأ في التخطيط لكتابه، والذي كان اسمه دعمًا قويًّا للكتاب وشهرته، أكثر مما فعلته مهارة وحذق (برتون هندريك) الكاتب الحقيقي للكتاب.

الكتاب- أو فكرته في حقيقة الأمر- كان مجرد فكرة عنَّت لبرتون هندريك، فاقترحها على مورجنثاو في أبريل ١٩١٦ [٤].

بعد فحص آلاف الأوراق والخطابات والوثائق في المجموعتين السابق ذكرهما، وجد أنها في نهاية المطاف عبارة عن أصول مظلمة لعمل برز في شكل سؤال،

---

(1) See: Footnote #1 above.

(2) See: Footnote #3 above.

(3) See: Footnote #5 above.

(4) FDR: HMS — Box No.9: Burton J. Hendrick letter to Henry Morgenthau of April 7, 1916, in which Hendrick refers to discussions with Morgenthau of the possibility of Doubleday, Page & Co. publishing a book which would appearin a series of ”personal narratives of all the big people who have figured in this war.” This is apparently the earliest surviving document which specifically relates to the book project.

وللكشف عن الخيوط التي أدت في النهاية إلى نسج قصة السفير مورجنثاو؛ لابد لنا من مناقشة مختلف المصادر التي اعتمدت عليها.

أولى هذه المصادر هي المخطوطات التي تدعى اليوميات، والتي تغطي فعليًّا فترة إقامة «مورجنثاو» في العاصمة استانبول، وهي الفترة الممتدة من ٢٧ نوفمبر ١٩١٣ تاريخ وصوله إلى استانبول، وحتى ١ فبراير ١٩١٦ تاريخ مغادرته إياها، وهي مدة ٢٦ شهر[١].

وهي إملاءات شاهد عيان، وتعليقات «مورجنثاو» التي أملاها على سكرتيره الخاص، وكان هذا السكرتير المدعو هاجوب أندونيان[٢]، من أرمن تركيا، مما يبرز أن الأساس الدائم لكتابات «مورجنثاو» ومدوّن خبراته اليومية هو أندونيان الأرمني، والذي نقل انطباعاته عبر هذه المذكرات إلى كل من قرأها من الأجيال والأجيال القادمة.

فقد خضعت أدق تفاصيل اليوميات لوجهة نظر أندونيان، وعلى الأخص تلك المتعلقة باتصالات «مورجنثاو» برجال «تركيا الفتاة» أو «الاتحاد والترقي»، وهم: سعيد حليم باشا، أنور باشا، طلعت باشا.

---

(1) LC: PHM - Reel No.5 (Containers 3 & 4): Contain the only known copy of this daily record of Morgenthau's sojourn in Turkey. Simply labeled as the 'Diary,' this document provides a day by day account of Morgenthau's activities while in Constantinople. When cited in the present study, I have listed the following information: LC: PHM - ReelNo.5: 'Diary' date: All references in the text to 'Diary' refer to this key source of information on Morgenthau's day by day contemporary record of his activities

(2) References of this nature include the following: LC: PHM — Reel No. 5: 'Diary' entries for September 25, 1914, February 19, 1915. The July 8, 1915 entry reads: "We worked at the book from 7:15 to 8. Then Schmavonian and Wirth took supper with me." This passage raises two possibilities: a) that others than Andonian may have also had a hand in compiling the 'Diary,' and, b) that Morgenthau's 'Diary' may have all along been envisaged as the outline for a book he intended to publish. Given the fact that he does not appear to have ever kept such a detailed 'Diary' at any other stage of his life, this interpretation may well be true.

وقد سجلت هذه الأحداث في اليوميات الخاصة - التي كتبها مورجنثاو بيده- حتى التدخلات التي لها علاقة مؤثرة- كما سيظهر لاحقًا- لوصف نفس المقابلات والمناقشات التي حكيت في قصة السفير مورجنثاو.

وبالرغم من هذا التداخل، فلا يوجد أدنى شك أن مادة المصدر الرئيسي الذي ارتكز عليه الكتاب هو تلك التسجيلات اليومية الموجودة في «اليوميات».

وبالإضافة إلى يومياته التي ارتكز عليها «مورجنثاو» بشكل أساسي، كان لديه- أيضًا- عادة الكتابة المطولة، فكان يكتب خطابًا أسبوعيًّا إلى مختلف أعضاء عائلته في أمريكا [(١)]، وهذه الخطابات كان يعدها هاجوب أندونيان، وهو ما صرح به «مورجنثاو» في خطابه المؤرخ بـ ١١ مايو ١٩١٥:

«لقد وجدت أنه من المستحيل الجلوس وإملاء خطاب بسرعة، كذلك أمرت أندونيان أن يأخذ يومياتي ويطبعها، مع وضع بعض التحسينات من عنده. وبالطبع هذا خفف من مسئوليتي عن أي أخطاء»[(٢)].

لذلك يمكننا القول في نهاية المطاف إن المادة الخام للكتاب كانت مزيجًا من يوميات مورجنثاو، ومن خطابات أندونيان، والتي تم تجميعهم من أجل العمل، أي عمل الكتاب.

---

(1) Copies of Morgenthau letters are found primarily in two separate sections (series) of the FDR Library - Morgenthau Papers. Specifically, they are in the FDR: HMS - Boxes 5, 7, 8, 10 and in the FDR: HMJ/Gaer - Boxes Nos. 1 -2. While clearly based on the ‘Diary’ entries for the period they describe, there is often additional data found in the ‘Letters,’ in that they provide a useful supplement to the sometimes laconic ‘Diary’ entries

(2) FDR: HMS - Box 7: HM to children letter of May 11, 1915. That this comment does not relate solely to the May 11, 1915 letter is confirmed by FDR: HMJ/Gaer - Box 1- 2: HM letter to Henry Morgenthau, Jr. of September 1, 1915, where we read: “I am sending you one of the copies of the general letter which recently has been written by Andonian, so don’t blame me if it is too impersonal and skeletonish.” On another occasion we find the following in a letter: “I don’t know whet her you folks all noticed the difference in style between this letter and tile preceding ones. I have dictated this one myself and filled the mere skeleton notes that I gave Andonian and from which the recent letters were written.” (FDR: HMS - Box No. 8: Letter of 7/ 13 /1915 - p.15)

هذان المصدران تم ملؤهما في بعض الحالات بنسخ من التقارير التي أرسلها مورجنثاو من استانبول، أو التي أرسلت إليه من واشنطن، وغير ذلك [١].

مع وضع هذه الخلفيات في الاعتبار، فإنه يتوجب علينا الآن أن ننتقل إلى دراسة الطريقة الفعلية التي تمت بها كتابة هذا الكتاب.

وننتقل ذلك إلى المسألة الأكثر تعقيدًا، وهي: بواسطة مَن كتبت هذه القصة؟[٢]

كان المؤلف الوحيد الذي ظهر اسمه في كل الطبعات هو هنري مورجنثاو. واليوم بعد حوالي ٧٢ عامًا من ظهور الكتاب، لم يُطرح على الإطلاق اسمٌ آخر لمؤلف قصة السفيرة مورجنثاو، سوى هنري مورجنثاو.

وبالرغم من هذا، فلقد أمدتنا المادة الخام للكتاب بخيوط ترسم ملامحَ عن هوية المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب.

أولًا وقبل كل شيء هناك اعتراف أدلى به «مورجنثاو» في مقدمة الطبعة الأمريكية للكتاب، وكذلك الطبعة البريطانية؛ حيث كتب:

«أشكر صديقي برتون هندريك لمساعداته القيمة التي قام بها في إعداد هذا الكتاب» [٣].

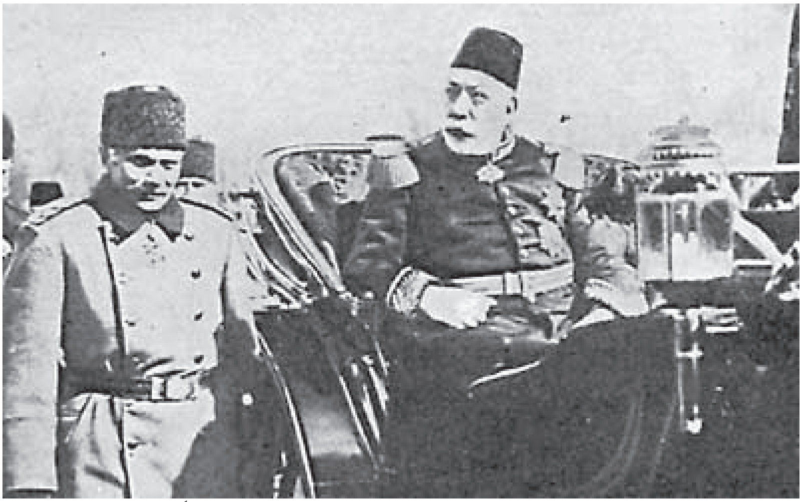
هذا التصريح الذي أدلى به، هو أقل بكثير مما يستحقه هندريك في الواقع.

ففي حقيقة الأمر برزت قصة السفير «مورجنثاو» إلى الوجود بقلم برتون هندريك، وبمساعدة الكثير من الأشخاص- مثل مورجنثاو- بالإضافة إلى

(1) Copies and 'paraphrases' and Morgenthau's cable traffic are found scattered throughout the LC: PHM - See, in particular, Reels No.5,7,8,17. This material was compared with copies of Morgenthau's official reports preserved in the National Archives in Washington, D.C. In particular: Record Group 59- General Records of the Department of State: Decimal File 867.4106 -Race Problems (Microflim Publication 353: Reels 43 - 48).

(2) Henry Morgenthau, Ambassador Morgenthau's Story. New York (Doubleday, Page & Co.), 1918. (hereafter: AMS).

(3) AMS: p. vii.



محمد الخامس سلطان تركيا الراحل. جلالة الملك كان رجلًا عجوزًا طيب القلب، ويفتقر إلى قوة الشخصية وروح المبادرة. الصورة للسلطان في سيارة تقله إلى السفارة الأمريكية، في انتظار السيد مورجنثاو لتقديمه إلى جمهور الإمبراطورية

مساعده وسكرتيره الأرمني هاجوب أندونيان الذي تبعه في عودته إلى واشنطن، وبقي معه خلال فترة إعداد الكتاب.

ثمة معلومات قليلة جدًّا عن حياة أندونيان، منها اليوميات والخطابات الخاصة بمورجنثاو المشار إليها من قبل، حيث قال إن سكرتيره كان يكتب له، كما كان يقوم بدور فعال كمترجم أيضًا، وقد سجل «مورجنثاو» في يومياته وخطاباته أن أندونيان كان كثيرًا ما يحل ضيفًا على مائدة مورجنثاو، وكذلك رافق «مورجنثاو» في أمسياته إلى السينما [١].

ومن هذه الخطابات أيضًا، خاصة في خطابات «مورجنثاو» إلى عائلته المؤرخ في ١٥ يوليو ١٩١٤، عرفنا أن أندونيان كان طالبًا عندما تولى «مورجنثاو» منصبه[٢].

وليس هناك أي شيء آخر ذي أهمية تبقى ليلقي الضوء على حياة هاجوب أندونيان، وعن سبب عودته إلى أمريكا مع مورجنثاو.

وقد جاء في اليوميات أنه غادر تركيا في ٨ فبراير ١٩١٦، وهو نفس اليوم الذي قدمت فيه اليوميات وصفًا لحفل تنكري على متن السفينة المغادرة إلى نيويورك، حيث كتب «مورجنثاو» أن ابنه «هنري ارتدى ملابس يونانية، وأن أندونيان ارتدى ملابس سيدة تركية»[٣].

وثمة خطاب آخر أرسله السفير في ٩ يناير ١٩١٨ إلى المشرف بريكتريدج السكرتير الثالث في أمريكا، يطلب فيها «مورجنثاو» تأجيل الخدمة العسكرية لسكرتيره هاجوب أندونيان، وقد جاء في الخطاب:

---

(1) LC: HMS - Reel No. 5 for March 15 -16, 1915, where Andonian accompanied Morgenthau to the Dardanelles in that capacity.

(2) FDR: HMS - Box No.5.

(3) LC: PHM-Reel NO.5.

«إنك ربما تعلم أنني بدعم من الرئيس ولسون أشرع في كتابة كتاب، والسيد هاجوبيان أندونيان يساعد في الإعداد لهذا العمل، اعتمادًا على معرفته الجيدة للشرق، وخبرته غير العادية، وخدماته التي لا غنى عنها»[(١)].

ومن هنا نستنتج ثلاث حقائق:

١- أول أسباب وجود أندونيان في أمريكا هو مساعدة «مورجنثاو» في كتابة هذا الكتاب.

٢- أن البدء الفعلي في كتابة هذا الكتاب كان في مطلع شهر يناير، تحديدًا في ٩ يناير ١٩١٨.

٣- في ١٩١٨ كان أندونيان مؤهلًا للخدمة العسكرية في أمريكا.

كما يوجد- أيضًا- ذكر لأندونيان بشكل مختصر في يوميات «مورجنثاو» عام ١٩١٨، في ثلاثة نصوص:

١- في ٢٦ أكتوبر ١٩١٨ كتب «مورجنثاو»: «إملاء هاجوبيان أندونيان في النادي، ودراسة الأدلة العينية للجزء الثاني من الكتاب».

٢- في ١٧ أبريل ١٩١٨ كتب «مورجنثاو»: «إملاء طوال اليوم على هندريك وأندونيان».

٣- في ٩ سبتمبر ١٩١٨ كتب مورجنثاو: «سافر أندونيان»[(٢)].

وثمة إشارة أخيرة عن أندونيان في أوراق مورجنثاو، وهي خطابان بخط اليد أحدهما مؤرخ في ١٦ ديسمبر ١٩٢٠، والآخر في ٢٤ ديسمبر ١٩٢٠، إذ تحمل بعض الأسماء ضمنها هاجوبيان أندونيان، ويسرد فيها «مورجنثاو» أدوارهم كعملاء لشركة «صن للتأمين»، وعملهم كسماسرة عقارات[(٣)].

---

(1) LC: PHM - Reel No.8.
(2) LC: PHM - Reel No.6.
(3) FDR: HMS - Box No. 13.

أندونيان كتب للاستفسار عن الشائعات التي انتشرت في العاصمة العثمانية استانبول، والتي تدور حول إقدام الرئيس الأمريكي على تفويض «مورجنثاو» للتوسط بين رجال الاتحاد والترقي وبين زعماء الأرمن، وقد أدى أندونيان دوره في إظهار هذه الشائعات بأنها صحيحة- لكنها كانت غير حقيقية-.

إن أي شخص له درايته بالتاريخ التركي والمسألة الأرمنية أثناء الحرب-العالمية الأولى-، فإن أول سؤال يتبادر إلى ذهنه هو عن طبيعة العلاقة الممكنة بين سكرتير السفير مورجنثاو- هاجوب أندونيان- وبين المدعو آرام أندونيان مؤلف المجموعة الشهيرة، وصائغ الوثائق التي عرفت بـ: مذكرات نعيم بك، وهي الوثائق التركية الرسمية المتعلقة بترحيل الأرمن والمذابح ضدهم- المنشورة عام ١٩٢٠ في لندن- وسرعان ما تتبادر إلى الذهن الإجابة عن سؤال العلاقة بين الشخصين، أنهما مواطنان من استانبول، يشتركان في اللقب نفسه، مما يزيد من احتمال أنهما أيضًا أقارب، بينما المعلومات الشخصية المتعلقة بهما لا تجيب عن هذا السؤال أو ذاك الاحتمال.

وثمة مفتاح آخر للولوج إلى كتابنا هذا، له تأثير وأهمية كبيران، ذلك هو (أرتاج سكمافونيان) وهو من أرمن تركيا، تم تعيينه في الإدارة الأمريكية في واشنطن عام ١٩١٨ كمستشار خاص، كما عمل أيضًا كمترجم للسفير «مورجنثاو» في استانبول، وهناك رافقه في كل اجتماعاته الرسمية.

كان سكمافونيان صديقًا ومستشارًا لمورجنثاو خلال فترة وجوده في استانبول، وقد وصفه «مورجنثاو» بقوله: «إنه دائم الإخلاص لأصدقائه وشعبه الأرمني».

منذ يوم وصول «مورجنثاو» إلى تركيا، وضع كامل ثقته في سكمافونيان، فكان مثل عينه التي يرى بها، وأذنه التي يسمع بها، إذ أنه- مورجنثاو- لم يكن يعرف أيًّا من اللغة التركية أو الفرنسية أو اليونانية أو حتى الأرمنية، وهي اللغات الأربعة الأساسية التي يتحدث بها الناس في العاصمة العثمانية.



وانجنهايم السفير الألماني أمام منزله؛ حيث أمضى معظم وقته في آب وأيلول/ أغسطس وسبتمبر من عام ١٩١٤، ابتهاجًا بالانتصارات الألمانية. من هنا كان يدير لاسلكيًّا عملية المدرعتين جوبن وبرسلو وإدخالها إلى القسطنطينية

وبعد وصول «مورجنثاو» إلى استانبول بوقت قصير، أجريت معه مقابلة لصالح «هيرالد نيويورك»، وقد عبّر فيها «مورجنثاو» عن ثقته تلك في سكمافونيان بقوله: «سوف أقوم بواجبي تجاه كل ما هو محيط بي بمساعدة المستشار القانوني للسفارة السيد سكمافونيان الذي يعرف الشرق معرفة جيدة، وبذلك سوف أكون قادرًا على تولي مهامي بعناء أقل، وبأكثر الطرق سهولة في أسابيع قليلة»[١].

ولا تكاد توجد صفحة من صفحات يوميات «مورجنثاو» إلا وفيها إشارة عن أرتاج سكمافونيان[٢]، لقد رافق «مورجنثاو» في الكثير من زياراته الرسمية لأعضاء حكومة تركيا الفتاة- أو الاتحاد والترقي- كما كان يحضر مقابلات «مورجنثاو» مع رجال الأعمال الأمريكيين الذين لهم أعمال في تركيا، وشارك أيضًا في كل الاجتماعات مع الوزراء الأمريكيين الذين لهم شئون متعلقة بتركيا، وقام بمساعدة «مورجنثاو» في كتابة رسائله إلى واشنطن[٣].

كما وجدت مجموعة أوراق سكمافونيان في الأرشيف القومي في واشنطن.

ومع التعامل بكثرة وأهمية بالغة مع هذه الأوراق، ظهر سكمافونيان في كثير من الأعمال الأمريكية المختلفة، والاهتمامات المثيرة.

كما ظهر في عدة ملاحظات كتبها «مورجنثاو» عنه، إذ كان دائم السلام عليه بقوله: «عزيزي السيد سكمافونيان».

وثمة خطابات عديدة من أرتاج سكمافونيان إلى «مورجنثاو» ضمن مجموعة أوراق «مورجنثاو» في الفترة من ١٩١٤ إلى ١٩٢١، والتي كتبت كلها قبل عام ١٩١٩، وقد بدأت بكلمة: «عزيزي الرئيس»[٤].

---

(1) LC: PHM - Reel No.37 - date is illegible.

(2) LC: PHM - Reel No,5.

(3) National Archives: Record Group No.84 - Personal Correspondence of Arshag K. Schmavonian - 4 Boxes.

(4) FDR: HMS - Boxes No.5 (17 letters from 1914), 9 (4 letters from 1916), 10 (2 letters from 1916), 12 (3 letters from 1919), 14 (5 letters from 1921).



السلطان محمد الخامس يتأهب لأداء صلاة الجمعة

ويمكننا أن نقيس مدى ثقة «مورجنثاو» في مستشاره الأرمني- ولو بشكل جزئي- من خلال الخطاب الذي تحدث فيه عن جمع التبرعات لصالح الأرمن والإعانات لسورية بعد عودته إلى أمريكا. كتب مورجنثاو عن سكمافونيان:

«أول رجل وجدته في السفارة، والذي أدين له بكل أنواع المساعدة التي قدمها لي، الرجل الذي عمل بدأب ونشاط مثل «يومن» (موظف صغير في السفارة الأمريكية)، إنه الأرمني سكمافونيان، لقد التحق بسفارتنا لمدة ١٦ عامًا، ولقد وجدته رجلًا غير عادي، لديه نظرة عالية واحترام للسلطات التركية، وسكرتيري الخاص «أندونيان» كان أرمنيًّا أيضًا، هذان الرجلان اللذان عرفتهما، عرفت معهما بعض القساوسة والوطنيين وأساتذة الجامعات من الأرمن، جعلوني أحترمهم، بل أكثر من ذلك، علموني الحب والإعجاب الشديدين بالكثيرين من الأرمن»[1].

هذه العلاقة لم تنتهِ بعد مغادرة «مورجنثاو» لتركيا، فلقد جمع شمل الرجلين عام ١٩١٧ عندما قام الرئيس ولسون بإرسال «مورجنثاو» إلى أوروبا؛ حيث قام سكمافونيان بدوره كمترجم مرة أخرى. وبعد انقطاع العلاقات بين تركيا وبين أمريكا، انتقل سكمافونيان عام ١٩١٧ إلى واشنطن؛ حيث ظل في مكانه كمستشار خاص حتى وفاته في يناير ١٩٢٢، وتحية لذكراه، كتب «مورجنثاو» ما يعكس مدى متانة علاقتهما:

«إنه من عظيم سعادتي أن أجد من خلال مقابلتي مع السيد سكمافونيان أن هذا الإطراء المتحمس من لدن أسلافي السفراء ليس فقط يتم عن الرضا التام، وإنما أيضًا هذا الإطراء لم يعطه حقه في الثناء الذي يستحقه».

لقد احتفظ الرجل في عقليته المنهجية بكل التقاليد الرسمية، فكان من السهل الوصول إليها في أي وقت من ليل أو نهار، سواء معي أو مع أي بعثة من البعثات

(1) LC: PHM - Reel No. 22.



طلعت وأنور في استعراض عسكري، يرصدون التحول في الجيش التركي بعد تدريبات القادة الألمان. طلعت هو الضخم (إلى اليمين)، وأنور (إلى اليسار).

والإرساليات الأمريكية في تركيا، لقد كان دوره بارزًا جدًّا، وكان يحظى بثقة مطلقة من أي شخص يتعامل معه.

فهو رقيق، مرح، ورجل اجتماعي، يشيع البهجة في أي لقاء يحضره، كما أن الخدمات التي قدمها إلى أمريكا وحكومتها، ولكل السفراء في استانبول، وكل البعثات ومصالح رجال الأعمال الأمريكيين، وللأرمن، وللشعب اليهودي في تركيا، كل هذه الخدمات لا تخفى على أحد.

لقد كان الرجل في عصمة عن الخطأ، لكنه لم يسعَ أبدًا إلى الاشتهار بذلك، لقد كان إخلاصه مطلقًا لأمته ولعمله، كما كان دائمًا مخلصًا لشعبه الأرمني.

إن أمريكا فقدت واحدًا من أشد الناس إخلاصًا لها، والذين عملوا لصالحها.

وبالنسبة لي، كان واحدًا من أعز أصدقائي»[1].

وحتى نستطيع أخذ فكرة عن مدى دور سكمافونيان في تشكيل «قصة السفير مورجنثاو»، يمكننا دراسة بقية مراسلات «مورجنثاو» أثناء الفترة التي كتب فيها الكتاب وهي كالتالي:

١- في ١٦ يناير ١٩١٨ ثمة خطاب من سكمافونيان إلى «مورجنثاو» يعرض فيه أسماء وعناوين مختلف أعضاء المجلس العثماني أثناء فترة تولي «مورجنثاو» لمنصبه[2].

٢- في ٢٦ يناير ١٩١٨ ثمة خطاب من «مورجنثاو» إلى سكمافونيان يطلب منه إمداده بالحقائق التي في البرقيات المرسلة إلى واشنطن والتي أرسلها «مورجنثاو» من تركيا[3].

٣- في نهاية أغسطس ١٩١٨ مخطوطة التعليقات على كتاب «قصة السفير مورجنثاو» أعدت بواسطة الإدارة الأمريكية، والتي تبين أنها أيضًا كتبت

---

(1) LC: PHM-Reel No.40.

(2) LC: PHM - Reel No.8.

(3)FDR:HMS - Box No. 12.



البارون فون وانجنهايم، السفير الألماني في تركيا. كان هو الشخصية التي اختارها القيصر لجعل تركيا صديقة مع ألمانياً وتحويل هذا البلد إلى حليف لألمانيا في الحرب. **Wangenheim** ممثل الدبلوماسية الألمانية في أقسى وأشد صورها. وهو يعتقد في مقولة بسمارك أن الألماني الوطني يجب أن يكون على أهبة الاستعداد للتضحية من أجل الوطن والقيصر ليس فقط حياته، ولكن بشرفه كذلك. وقد تلاعب بمهارة رائعة مع المغامرين الذين سيطروا على تركيا في عام ١٩١٤ وحولهم إلى أدوات لألمانيا.

بواسطة سكمافونيان، مما يزيد احتمالات أن يكون الموظف الرسمي المكلف من الإدارة الأمريكية بالتوقيع على التعليقات على مسودة كتاب «قصة السفير مورجنثاو» هو نفسه سكمافونيان(١).

٤- في ٣ سبتمبر ١٩١٨ ثمة خطاب من «مورجنثاو» إلى سكمافونيان، يوضح أن سكمافونيان هو الذي كتب التعليقات على مخطوطات كتاب مورجنثاو، يقول:

«أنا أرسل بهذا الخطاب مقالنا رقم ٧ ، الفصل من القصة الأرمنية والتي آمل أنك- بمخيلتك الطبيعية وطريقة استيعابك-؛ سوف تعمل طوال الوقت، وأعدك أني لن أكتب المزيد من الكتب إلا بعد موافقة الإدارة الأمريكية» (٢).

باختصار، كان سكمافونيان هو المساعد الرئيسي لمورجنثاو في فترة توليه منصبه كسفير في تركيا، وأيضًا في الفترة التي كتب فيها «قصة السفير مورجنثاو» عام ١٩١٨، حتى أنه كان مكلفًا من الإدارة الأمريكية بالتعليق على مخطوطة مورجنثاو.

وبالرغم من دوره في كل مرحلة من مراحل المشروع، لم يذكر اسمه في «قصة السفير مورجنثاو»، وهذا ما يصعب فهمه، وهذا على الأخص ما ظهر في السيرة الذاتية لمورجنثاو (كل ما في الحياة) التي ظهرت عام ١٩٢٢، وهو الكتاب الذي كتبه بالتعاون مع الفرنسي ستروثر؛ حيث ظهر سكمافونيان- كما هو بالفعل- محل ثقة تامة لمورجنثاو.

فهل يمكن القول بأن مساعده الأرمني الآخر هاجوبيان أندونيان، كان له تأثير قوي في المسألة الأرمنية، رغم أنه أيضًا لم يتم ذكره (٣).

وكانت هناك- أيضًا- مساهمة أخرى في ذلك المشروع، مساهمة وزير الخارجية «روبرت لانسينج» الذي كان يقرأ كل فصل من فصول الكتاب ويعلق عليه، بأمر

(1) FDR: HMS - Box No.12.
(2) FDR: HMS - Box No.12.
(3) Henry Morgenthau (in collaborat?on with French Strother), All In A Life Time, New York (Doubleday, Page & Co.), 1922. See: pp. 178, 187, 215, 216, 224, 227, 259, and 266.



جمال باشا وزير البحرية. في عام ١٩١٤ تولى جمال باشا رئاسة إدارة الشرطة في العاصمة، كان من واجبه التخلص من المواطنين الذين كانوا معارضين للعصابة السياسية التي سيطرت على تركيا. وكانت هذه عادة المعارضين، الاغتيال أو القتل. بعد ذلك تولَّى جمال باشا وزارة البحرية، وعلى هذا النحو العنيف قدم احتجاجًا على بيع سفن حربية أمريكية إلى اليونان. ثم تم إرساله إلى فلسطين قائدًا للفيلق الرابع؛ حيث برز كزعيم في حملة اضطهاد السكان غير المسلمين

من الرئيس ولسون، وكانت طبيعة دور الوزير لانسينج هي التعليق على الكتاب، وسوف نناقش- لاحقًا- أن هذه التعليقات كانت ذات أهمية، كما توضح ذلك العديد من الخطابات المتبادلة منذ تاريخ بدء إعداد الكتاب، وهي:

١- في ٢ أبريل ١٩١٨ خطاب لانسينج إلى مورجنثاو، في عمله المنوط به، يقول: «الآن راجعت أول جزء من مسودة الكتاب، والذي قرأته باهتمام خاص. وقد عملت بعض الملاحظات الهامشية المقترحة لتبديل أو حذف أشياء في النص قبل النشر، وأنا واثق أنك ستوافق على تلك المقترحات».

٢- في ٢٧ أبريل ١٩١٨ خطاب لانسينج إلى مورجنثاو، مرفقًا مع قسم آخر من مسودة الكتاب، يقول: «هذه عدة اقتراحات مرفقة، بها مجموعة من الاعتبارات المهمة».

٣- في ٢٩ أغسطس ١٩١٨ خطاب لانسينج إلى مورجنثاو، فيه بعض المقترحات المرفقة مع بعض المسودات.

٤- في ١٧ سبتمبر ١٩١٨ خطاب لانسينج إلى مورجنثاو، فيه بعض المقترحات المرفقة والملاحظات.

٥- في ٢٢ سبتمبر ١٩١٨ خطاب مورجنثاو إلى لانسينج يستأذنه في أن يعرب عن شكره وامتنانه له في مقدمة الكتاب، ويشير إلى المشكلات التي واجهت لانسينج خلال قراءته للمسودات، وكذلك النصائح والمقترحات القيمة التي عرضها عليه.

٦- في ٢ أكتوبر ١٩١٨ خطاب لانسينج إلى مورجنثاو، يرفض فيه لانسينج رغبة «مورجنثاو» التنويه عن شكره لمساعدته في الكتاب، قائلًا: «إنه من الأفضل عدم ذكر اسمي في أي شيء يرتبط بالكتاب» (١).

(1) FDR:HMS-Box No.12.



الماركيز جاروني، السفير الإيطالي لدى
الباب العالي في عام ١٩١٤

عندما يتذكر المرء حقيقة أنه قبل البدء في هذا المشروع/ الكتاب، تلقى «مورجنثاو» خطابًا من الرئيس الأمريكي ويلسون، يبارك فيه هذا المشروع.

كذلك مع تقدم العمل في هذا المشروع، وفي كل مرحلة من مراحله أو فصل من فصوله، كان ثمة طابع شخصي يحيط بالعمل، سواء في الموافقة عليه أو تحسين ظروفه، من وزير الخارجية روبرت لانسينج.

يتضح من ذلك كله أن كتاب «مورجنثاو» نشر بتصريح من الحكومة الأمريكية.

وقد قيل إنه عمل أدبي جدير بالقراءة، وكل من قرأه وجده- بالفعل- جديرًا بالقراءة والاطّلاع، وذلك كله نتيجة جهود هندريك.

في الوقت الذي لم يحظ فيه بالاعتراف بدوره الحقيقي في تأليف القصة، كان دوره في الظل، بينما كانت حقوقه المادية محفوظة نظير جهوده، وهو ما جاء في خطاب «مورجنثاو» الذي أرسله إلى هندريك في ٥ يوليو ١٩١٨، والذي كان شاهدًا على أن ثمة عقد شفهي غير مكتوب كان قد عقد بين الرجلين، يقول:

« أنا أرغب- كتابة- أن أنقل إليك جزءًا من دخل كتاب «قصة السفير مورجنثاو» والذي على وشك النشر عبر شركة «دبلداي» للنشر.

وسوف يتم اتخاذ الإجراءات المحددة عند اكتمال عملك في الكتاب، وفي حالة حدوث أي شيء في أي وقت، فإنه بموجب هذه الوثيقة سيقوم المسئولون مباشرة بتسليمك خُمس الأرباح التي ستأتي من شركة دبلداي للنشر، حتى يصلك عشرة آلاف دولار، وقد حوّلت إلى حسابك خمسة آلاف دولارًا من أول مبلغ دفع لي»[1].

(1) Hendrick/Rusnak: Morgenthau to Hendrick letter of July 5, 1918.



السفير البلغاري لدى الباب العالي في عام ١٩١٤.

ومن وجهة نظر فردية وعلمية جادة، فإن هندريك لديه الحق الكامل في أن يحصل على مستحقاته راضيًا، بعد إتمام الترتيبات النهائية للكتاب، واكتماله وطباعته.

ومن خلال أوراق مورجنثاو، أمكننا معرفة أنه بمجرد إتمام الكتاب تم الاتفاق النهائي الذي ضمن لهندريك ٤٠٪ من دخل الكتاب خلال مدة نشره.

وبعد أربعة عشر عامًا من نشر الكتاب في سنة ١٩٣٢م ، كان الكتاب ما زالت تصدر طبعاته المتعددة.

وفي هذه الأثناء– عام ١٩٣٢ – اتفقت أسبانيا على تحديد سعر النسخة الواحدة بمائتي دولار، وكان من حق المؤلف نصفها، أي مائة دولار، هذه المائة دولار توزع كالتالي:

السيد برتون هندريك ٤٠٪ أي ٤٠ دولار.

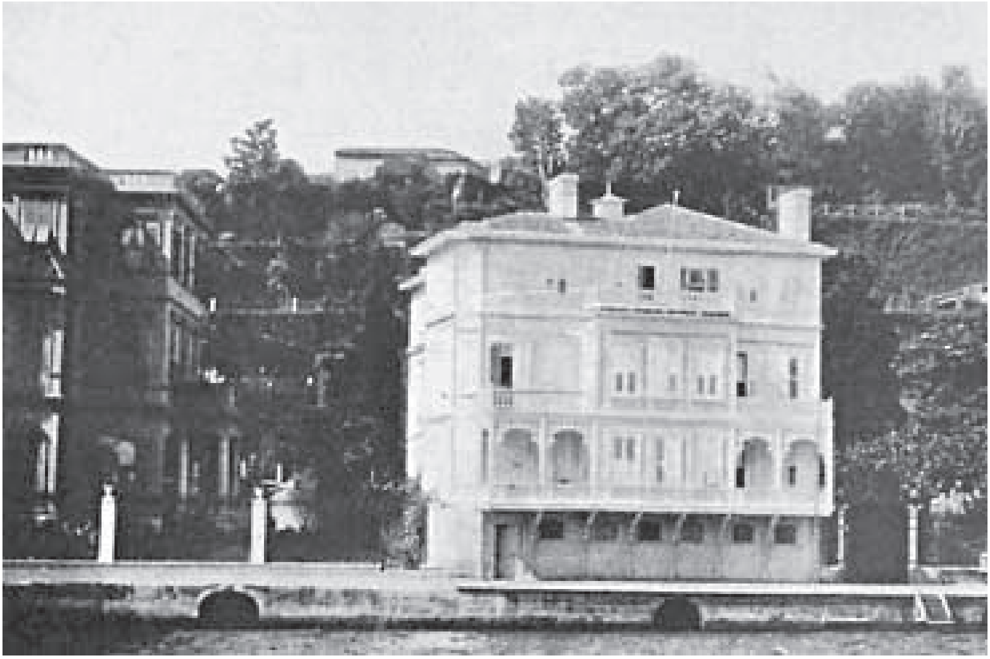
السيد هنري مورجنثاو ٦٠٪ أي ٦٠ دولار[١].

أي أنه بعد صدور الطبعة الأولى عام ١٩١٨، ولمدة أربعة عشر عامًا، كان الكتاب ما يزال يطبع ويمُد كلًّا من مورجنثاو وهندريك بدخل سنوي.

وقد عبر عن ذلك هندريك في حوار سجل معه في جامعة كولومبيا عام ١٩٤٩ مع المؤرخ آلان نيفيس، قبل موته بشهور قليلة، قال:

« كان لديَّ عمل واحد في الخفاء، وهو عملي في مذكرات مورجنثاو، لقد لقي الكتاب اهتمامًا بالغًا. كنت أعمل مع هنري طوال الوقت، لقد كان هنري شخصية مثيرة للاهتمام، شخصية ودودة مفعمة بالحيوية، يمكن الاعتماد عليها،

(1) LC: PHM - Reel No.17.



المقر الصيفي للسفارة الأمريكية في مضيق البوسفور

وهو إنسان ناجح وقد حصد ثروة طائلة من عمله في سمسرة العقارات في نيويورك...»[١].

في مدى عشر سنوات من نشر الكتاب، حصل هندريك على ثلاث جوائز بليتزر[٢].

- واحدة عن الكتاب الذي شارك في تأليفه مع الأدميرال وليام سميث، وهو «النصر في البحر»، كان ذلك عام ١٩٢٠م.
- واحدة عن كتاب سيرة ذاتية عن حياة وخطابات والتز، عام ١٩٢٢.
- واحدة عن كتاب بعنوان «التدريب الأمريكي» عام ١٩٢٨.

---

(1) I am indebted to Mr. Ronald J. Grele, Director of the'Oral History Research Office' at Columbia University's Butler Library, for a copy of the 62 page Nevins interview entitled: 'The Reminiscences of Burton j. Hendrick.' The passage quoted above is taken from pages 31 - 32 of this interview, and is a summary of Hendrick's comments. In addition to the Hendrick materials discussed earlier in what I have termed the Hendrick/ Rusnak Collection, and the Nevins interview, there are also 75 Hendrick letters in the archives of the American Academy of Arts and Letters in New York City. I am informed by Ms. Nancy Johnson, the 'AAAL' Librarian, that this material consists primarily of letters relating to Hendrick's membership in the 'AAAL,' an organization to which he was elected in 1923, and of which he remained a member until his death in 1949.

(2) The most detailed work on Hendrick s career is Robert Rusnak s unpublished paper entitled: "To Cast Them in the Heroic Mold': Court Biographers - The Case of Burton J. Hendrick." I am indebted to the author for a copy of this study. Additional biographical information has been consulted in the following reference works: a) Obituary notice: "Burton Hendrick, historian, 78, Dies," The New York Times, Friday, March 25, 1949. p.23. (Hereafter: Hendrick, Times: p.23.) b) Burton Jesse Hendrick entry in: The National Cyclopaedia of American Biography. Vol. XXXVIII., page 476. Ann Arbor, MI (University Microfilms), 1967. c) Louis Filler, "Burton Jesse Hendrick," entry in The Encyclopedia Americana (International Edition). Vol.14, page 91. Danbury, CT (Grolier Inc.) ND. d) Burton Jesse Hendrick entry in the 1922- 1923 Who's Who in America. Vol. 12, page 1482. Chicago (A.N. Marquis & Co.), 1923.

وقد اشتهر هندريك كصحفي محترف منذ عام ١٩١٨، احترف العمل الصحفي في صحيفة نيويورك بوست، ومجلة ملكر، وورلد ورك، ويمكننا أن نشير إلى مكانته من خلال النعي الذي نشر في جريدة نيويورك تايمز، فقد كتب عن هندريك:

«صنع لنفسه سمعة حسنة، وكان دقيقًا في عمله وبناء شهرته، وشق طريقًا مضنيًا، وكان ذا فكر صائب وشخصية ممتازة، وقد طوّر نفسه وقدراته في البحث والتقصي عن موضوعات مثيرة للاهتمام».

بل إن هذا النعي امتدّ إلى الحديث عن كتبه، فقال:

«.. كتبت السيرة الذاتية، كما أن أعماله التاريخية ستظل دائمًا دليلًا على ذكائه وتحليلاته العميقة، وعلامة على نبوغه الصحفي المبكر» (١).

وثمة مفارقة نذكرها هنا، أحد الكتّاب ويُدعى W.K.K.، كان قد قرأ كتاب مورجنثاو، وفي ٥ ديسمبر ١٩١٨ كتب في صحيفة ديترويت ميتشجان، بإحساس غريزي لابد من أن هناك كاتبًا صحفيًّا ساعد «مورجنثاو» في كتابه، وقال:

«.. هنري مورجنثاو سفيرنا في تركيا فترة العام الأول من الحرب لم يولد كصحفي، ولم يحصل على أي تدريب صحفي في إعداد يومياته، لكن بالنسبة لكتابه «قصة السفير مورجنثاو»، فقد كُتب بلغة صحفية محترفة..» (٢).

ما بين أيدينا إذًا هو ذكريات عن فرد واحد هو السفير مورجنثاو، هو على الأقل كذلك.. ذكريات، أكثر من كونها مذكرات منسقة.

إن مذكرات «مورجنثاو» في استانبول، والمكونة من يومياته ومن خطاباته العائلية، تم إعادة صياغتها مبدئيًّا مع مورجنثاو، وأندونيان، وهندريك. وتم تحرير النص بواسطة سكمافونيان لصالح الإدارة الأمريكية، وبعد ذلك كانت المراجعة

(1) Hendrick, Times: p.23.
(2) LC: PHM - Reel No. 40.

الدقيقة بواسطة وزير الخارجية الأمريكي روبرت لانسينج (لأغراض تنفيذية)، وأخيرًا كُتبت قصة السفير مورجنثاو بواسطة برتون هندريك.

وبالنسبة للسؤال المطروح في بداية الفصل: من كَتب هذه القصة؟ في الواقع، وفقًا لما قدمناه من معلومات، يتضح أنها قصة جماعية تحمل فقط بعض الملامح العامة لما رآه هنري مورجنثاو بالفعل أثناء قيامه بمهام منصبه في تركيا.



أنور باشا وزير الحربية. رجل من الناس، الذين على مدار ٢٦ عامًا، كان زعيماً في الثورة التي أطاحت بالسلطان عبد الحميد، وأنشأ النظام الجديد مع الشبان الأتراك. في ذلك الوقت كان الأتراك الشباب يسعون بأمانة لإقامة الديمقراطية التركية. هذه المحاولة فشلت فشلًا ذريعًا، قادة تركيا الفتاة حكموا الإمبراطورية التركية وفق أغراضهم الأنانية، وصنعت حكومتهم مذابح أكثر بكثير مما فعله عبد الحميد. أنور هو الرجل المسئول الرئيسي عن تحول الجيش التركي أكثر صوب ألمانيا. إنه يتصور نفسه مزيجًا تركيًّا من نابليون وفريدريك الكبير.



سعيد حليم الصدر الأعظم، وهو أمير المصري، من الذين قدموا الأموال لأنشطة الحملة السياسية للشبان الأتراك. وعلى سبيل المكافأة، تولى منصب الصدر الأعظم. في هذا الموقف لم يكن يسمح له بممارسة أي سلطة حقيقية. وعدَه الأتراك الشباب أن يصبح الخديوي إذا نجحوا في طرد إنجلترا من مصر

الفصل الثالث
الهدف ومجال القصة

كانت موضوعات «قصة السفير مورجنثاو» ومهمتها هي إعطاء المصداقية عن أن قصته من البداية إلى النهاية هي بطولة الثلاثي الشرير- طلعت وأنور ووانجنهايم- مع إصرارهم بشكل مكرر وواضح على إدانة أنفسهم.

.. هناك حقيقة واحدة لا جدال فيها، ليس هناك أي بيان من البيانات الواردة في الكتاب كله قد أدلى به أي مسئول تركي أو ألماني.



السير لويس ماليت (على اليسار). السفير البريطاني في القسطنطينية عند بداية الحرب. (إلى اليسار) بومبارد، السفير الفرنسي



الجنرال ليمان فون ساندرز. رئيس البعثة العسكرية التي بعث بها القيصر إلى القسطنطينية في النصف الأخير من عام ١٩١٣؛ لإعادة تنظيم الجيش التركي في التحضير للحرب القادمة



مجموعة من الضباط الألمان والترك على متن المدمرة البحرية جوبن «GOEBEN» كل الرجال في الصورة من الألمان باستثناء الذي في أقصى اليسار واليمين، قبل شهرين من دخول تركيا الحرب الأوروبية، الأدميرال **Souchon** – المتوسط في هذه المجموعة– سيطر على القوات البحرية التركية.

كل هذا الوقت كانت الحكومة الألمانية تصرح أنها «باعت» جوبن وبريسلو لتركيا



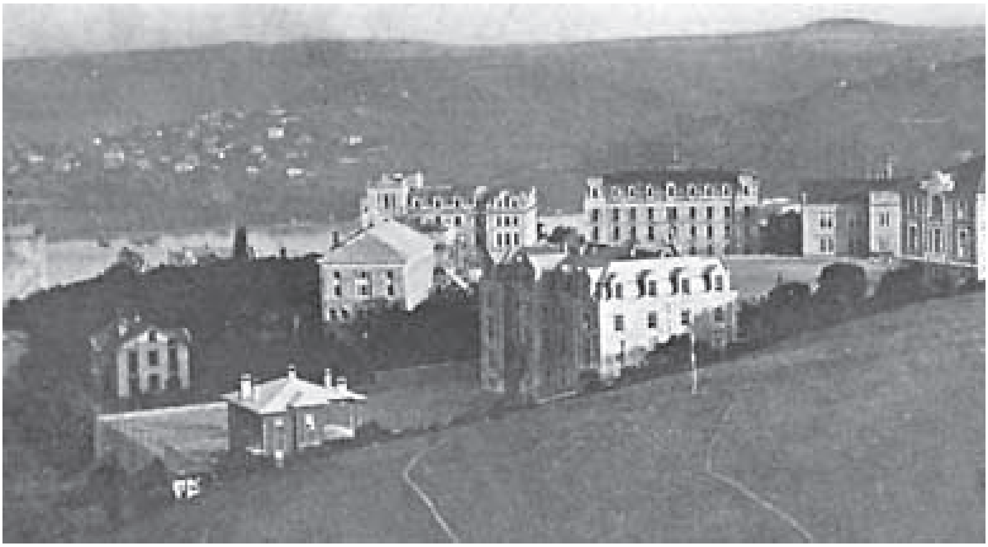


(إلى اليسار) بدري بك، مدير الشرطة في القسطنطينية، وأحد زعماء الشباب الأتراك وصديق حميم لطلعت. محاولات السيد مورجنثاو لحماية الجالية الإنجليزية والفرنسية أصبحت منافسة بينه وبين بدري بك، الذي تبنى وجهة النظر الألمانية أن الأجانب ينبغي ألا يتعامل معهم «بتساهل كبير».

(إلى اليمين) جاويد بك، وزير المالية في الحكومة التركية. يهودي المعاملة ولكن محمدي (مسلم) الدين، وهو عضو بارز في حزب تركيا الفتاة



السفارة البريطانية. هذه المؤسسة وغيرها الكثير جاءت تحت حماية السيد مورجنثاو، عندما دخلت تركيا الحرب. في وقت واحد السفير الأميركي مثل عشر دول لدى الباب العالي.



كلية روبرت في القسطنطينية. أسسها الأميركيون منذ أكثر من خمسين سنة مضت. أفضل مؤسسة تعليمية في تركيا، والمكان الذي تخرج منه معظم قادة الفكر في منطقة البلقان.

الأطروحات الأساسية التي نطرحها- مع ما تمدنا به هذه الدراسة- تتركز في الأسئلة التالية:

- مدى حجم ما في «قصة السفير مورجنثاو» من الخيال الصحفي الخصب لبرتون هندريك، ولا ينبع من اليوميات والخطابات الخاصة بمورجنثاو.
- مدى حجم الأجزاء التي أقحمها «مورجنثاو» ليدعم هدفه في عمل كتاب مثير يدين الأتراك والألمان، وبذلك يجلب إثارة الرأي العام الأمريكي ليؤيد الحرب.
- ما هي طبيعة التدخلات التي قام بها وزير الخارجية الأمريكية في الكتاب؟
- هل سمح لنفسه بفرض رقابة صارمة على دبلوماسية ما هو مكتوب، أم أخذ دورًا فعليًّا في محاولة الإساءة إلى سمعة الأتراك والألمان، تمشيًا مع أهداف رئيسه الرئيس ولسن ومع المؤلف؟
- هل رؤية «مورجنثاو» للمشاكل والنزاعات بين الأرمن والأتراك كانت بأعين وآذان أرمنية، عبر سكمافونيان وهاجوب أندونيان؟
- والأكثر أهمية.. ما هي رؤية «مورجنثاو» الحقيقية للزعماء الأتراك والدبلوماسيين الألمان الذين تعامل معهم أثناء فترة سفارته، وكيف ولماذا تحولت هذه الرؤية بعد عامين عندما بدأ في كتابه ذلك؟

ثمة مصالح مشتركة ومتشابكة في نشر الكتاب، لذلك لابد من طرح الموضوعات اعتمادًا على أربعة أسس هي:

١- الدوافع الإمبريالية الألمانية التي تقود الزعماء السذج الأتراك- الاتحاد والترقي- في الحرب العالمية الأولى.

٢- قرار زعماء تركيا- خاصة أنور وطلعت- باستخدام الحرب كغطاء لمؤامرتهم ضد الأرمن العثمانيين وإبادتهم، بعد اتهامهم بالتحريض ومساعدة روسيا- عدو تركيا- أثناء الحرب.



السفارة الأمريكية، والموظفون التابعون للسفير مورجنثاو

٣- كَوْن هنري مورجنثاو هو الصوت الذي يسعى دائمًا- دون كلل- إلى إثناء طلعت وأنور عن تنفيذ مخططهم الشرير لتدمير الأرمن.

٤- فشل جهود مورجنثاو، وكان بسبب واحد هو أن الشخص الوحيد المؤثر في القادة الأتراك، والقادر على إقناعهم بتغيير أفعالهم؛ كان هو السفير الألماني ونجنهايم، لكنه وقف مكتوف الأيدي ورفض مساعدة الشعب الأرمني العاجز.

كانت موضوعات «قصة السفير مورجنثاو» ومهمتها هي إعطاء المصداقية عن أن قصته من البداية إلى النهاية هي بطولة الثلاثي الشرير- طلعت وأنور ووانجنهايم- مع إصرارهم بشكل مكرر وواضح على إدانة أنفسهم.

على سبيل المثال، يمدنا مورجنثاو- بشكل مكرر كثيرًا- باقتباسات وتعليقات مطولة من كلمات تلك الشخصيات، أو المزعوم أنها من أقوالهم، كلٌّ وفق دوره المرسوم، في الواقع هم لا يعترفون بصراحة، ذلك أن مصطلح «الإبادة الجماعية» لم يكن قد ظهر بعد.

والسؤال الذي يجب علينا أن نطرحه:

هل هذه الحوارات والكلمات المزعومة حدثت بالفعل بالطريقة التي وصفها مورجنثاو وهندريك؟

وللإجابة عن ذلك السؤال، ينبغي علينا مقارنة ما جاء من فصول الكتاب بشكل متوازٍ مع ما جاء في اليوميات والخطابات، وكذلك التقارير التي أرسلها الوزير لانسينج من واشنطن إلى السفير مورجنثاو.

بداية هناك حقيقة واحدة لا جدال فيها، ليس هناك أي بيان من البيانات الواردة في الكتاب كله قد أدلى به أي مسئول تركي أو ألماني، وغير مبنية على محاضر مكتوبة.

إنها ببساطة كلمات غير مكتوبة في أي مصدر من المصادر التي استمد منها الكتابُ مادته.



الجندي التركي الحديث في الزي والمعدات التي أدخلها الألمان؛ حيث الطربوش صار رمزًا قديماً من العهد العثماني، وتم استبداله بالخوذة الحديثة

الفصل الرابع
معاملة طلعت بك.. دراسة حالة

من الأفضل للأجيال القادمة والأمم الأخرى الشعور بالاشمئزاز من هذا الرجل (طلعت) ، حيث صوره بأنه وغد شرير ملحد ...

أراد أن يكون لديه مؤشرات قوية تدين الحكومية الثلاثية لجمعية الاتحاد والترقي -طلعت وأنور وجمال- لتدعم المحور الأساسي لقصة السفير مورجنثاو، وهي إدانة هذه الحكومة بمحاولتها إبادة الأرمن ...

مورجنثاو تعمد تصوير طلعت بك ، كما يصور الأتراك جميعًا، كوحوش قساة، ومتهورون في تصرفاتهم ...



وزارة الحربية، مقر أنور باشا. في هذا المبنى قدم أنور لمورجنثاو وعْدَه بعدم إساءة معاملة الأجانب الأعداء

المتهم الأساسي أو الشرير الأكبر في قصة السفير مورجنثاو، وموضع الذم الأكبر هو طلعت بك وزير الداخلية العثماني.

إن دراسة معاملته سوف تؤدي إلى تفسير التناقضات الواسعة بين ما سجله مورجنثاو في يومياته وخطاباته- التي وجدت أثناء إقامته الفعلية في استانبول من نوفمبر ١٩١٣ إلى يناير ١٩١٦، وبين ما هو مدوَّن في كتابه الصادر عام ١٩١٨، ولا يوجد أي سبيل آخر لتفسير هذه التناقضات(١).

الأمثلة التالية المقتبسة من «قصة السفير مورجنثاو» سوف توضح لنا هذه النقطة..

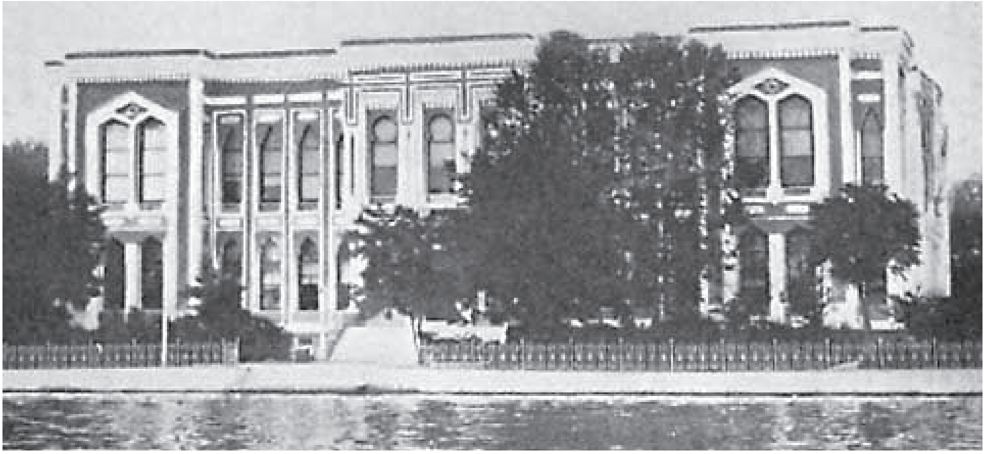
١- مورجنثاو يصف طلعت بأنه: «رجل ذو نفوذ، يقود فرقة من المتعصبين..

أنا شخصيًّا راضٍ عن أنه غير مهتم بأي شيء من الدين الإسلامي، مثله مثل معظم الزعماء في حزبه، فلقد سخر من الأديان، وأخبرني- ذات مرة- أنه يكره القساوسة والحاخامات و..»(٢).

في حقيقة الأمر لا تود أي مرجعية- ولو واحدة- في أوراق استانبول لدعم هذه الادعاءات. على العكس، المرجع الوحيد للمواقف الدينية لطلعت يمكن أن نجده في يوميات «مورجنثاو» المدونة في ١٠ يوليو ١٩١٤، حيث وصف حفلة خاصة أقيمت في مساء اليوم السابق حضرها الحاخام الأكبر حاييم ناعوم وسكمافونيان،

(1) Throughout Ambassador Morgenthau's Story, Talaat Bey is vilified in every conceivable fashion. See: AMS - pp. 20 - 24, 34 - 40, 50 - 51, 58, 78, 99 - 100, 123 - 1 27, 137 - 145, 154, 172, 194 - 95, 198 - 99, 253 - 55, 286, 326 - 342, and 390 - 392. A grimmer portrait is hard to imagine, nor one less in keeping with what is generally known about Talaat's character. I have used contemporary English spelling as found in Ambassador Morgenthau's Story, rather than modern Turkish orthography throughout this study. Hence 'Talaat' rather than 'Talat' and 'Abdul Hamid' for 'Abdülhamid.'

(2) AMS: p.20.



وزارة البحرية، مقر جمال باشا، الذي بعد فترة وجيزة من بداية الحرب؛ ذهب إلى سوريا قائدًا للفيلق الرابع



(إلى اليسار) خليل بك في برلين، رئيس البرلمان التركي وزعيم حزب تركيا الفتاة، بعد ذلك وزير الشؤون الخارجية. (إلى اليمين) وطلعت وكولمان. وهو الآن وزير الخارجية، وكان في عام ١٩١٥ في القسطنطينية، بوصفه الوسيط في مفاوضات السلام

كتب مورجنثاو: «أخبرني طلعت- في ذلك المساء- أنه أكثر أفراد حزبه تدينًا، وأن جاويد ليس لديه دين، أما جمال فكان قليل التدين»(١).

حتى ولو لم يكن طلعت أكثر أعضاء الحكومة التركية تدينًا بالفعل، فإن يوميات «مورجنثاو» وخطاباته نفسها تضمنت عشرات الإشارات إلى العلاقات القوية القائمة بين طلعت وبين الحاخام الأكبر حاييم ناعوم زعيم طائفة اليهود العثمانيين، مما يجعل هذه المقولة (أي كراهية طلعت لرجال الدين من القساوسة والحاخامات و..) منسوبة للأمريكان، وليست من كتابات «مورجنثاو» (٢).

إذًا لماذا اختار «مورجنثاو» أن يصور طلعت بك كملحد، بينما أظهرت يومياته عكس ذلك؟

الإجابة الواضحة أنه وجد من الأفضل للأجيال القادمة والأمم الأخرى الشعور بالاشمئزاز من هذا الرجل- طلعت-؛ حيث صوَّره بأنه وغد شرير ملحد، وليس كما يبدو كواحد من القادة المسلمين المدافعين عن العالم الإسلامي.

٢- في كلامه عن اليونانيين الذين قامت الحكومة التركية بترحيلهم من محلات إقامتهم على السواحل في بحر إيجة إلى داخل الأناضول، وكان ذلك في أواخر الربيع وبداية صيف ١٩١٤، كتب مورجنثاو: «قبل هذا الوقت عرفت طلعت بك جيدًا، وكنت أراه كل يوم تقريبًا، وقد اعتاد أن يناقش معي التطبيق العملي

(1) LC: PHM - Reel No.5: 'Diary' entry for July 10, 1914. See also: PDR: HMS - Box No.: Morgenthau family 'Letter' of July 15,1914, pp. 10 - 11.

(2) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau's 'Diary' entries for the entire period of his stay in Turkey, are full of entries dealing with his close social relationship with Talaat Bey and Grand Rabbi Haim Nahoum. Only two examples will suffice to illustrate that relationship: 1) On February 16,1914 Morgenthau's 'Diary' includes the following note: "We dined at Rabbi Nahoum. May, Helen, Ruth, Schmavonian, Talaat and I, and remained until 11, talking"; and, 2) Just three days later on February 19, 1914, the diary includes the following: "Talaat, Nahoum and Schmavonian were here for supper; we had a very intense talk about Turkish conditions."

للعلاقات الدولية، ولقد اعترضت على معاملته مع اليونانيين، وأخبرته أنها من الممكن أن تعطي انطباعًا سيئًا عنهم في الخارج، وسوف تؤثر على مصالحهم وعلاقاتهم مع أمريكا»[١].

وعلى عكس ما جاء، فإن ادّعاء «مورجنثاو» باللقاء اليومي مع طلعت غير صحيح، بتحليل اليوميات الخاصة به، خاصة في إدخالات الفترة بين ١ يناير ١٩١٤، و٢ يوليو ١٩١٤، تحصر مجموع لقاءات الرجلين في عشرين مناسبة، ثمانية منهم فقط كان مقابلات موضوعية، والبقية كانت مناسبات اجتماعية، فقد كانوا ضيوفًا على العشاء لبعض البعثات[٢].

وأثناء فترة الترحيل- لليونانيين- تقابل «مورجنثاو» مع طلعت بخصوص أمور موضوعية مرة كل ثلاثة أسابيع في المتوسط، وأثناء اشتداد مسألة الطرد- من منتصف مايو إلى يوليو ١٩١٤- لم يتقابل الرجلان؛ حيث سجل «مورجنثاو» في يومياته مقابلات مع طلعت في ٤ مايو ١٩١٤، وفي ٢ يوليو ١٩١٤ [٣].

ورغم تأكيد «مورجنثاو»، فإن ترحيل اليونانيين نوقش مرة واحدة فقط في ٢ يوليو ١٩١٤؛ حيث ذكر «مورجنثاو» حجة طلعت فقط في ترحيلهم، دون أي إشارة إلى معارضته لأسلوب الترحيل، يقول: «لقد تكلمت مع طلعت بك أنا وسكمافونيان، وكان صريحًا جدًّا، وقال بأن اليونانيين هنا يدفعون الضرائب للحكومة اليونانية والتي تجمعها الكنيسة اليونانية، وهم بالفعل يريدون العودة إلى جزيرتهم- اليونانية- واعترف بتفوق اليونانيين في التعليم، كذلك بقدراتهم التجارية..» [٤].

(1) AMS: p. 50.

(2)LC: PHM - Reel No.5: Entries for the period between January 1, 1914 and July 2, 1914.

(3) LC: PHM - Reel No.5: See the entries for the period between May 4, 1914 and July 2, 1914.

(4) LC: PHM - Reel No. 5: Entry for July 2, 1914.

وفي خطاب- من الخطابات الأسبوعية- لعائلته-، مؤرخ في ١٥ مايو ١٩١٤ سجل نفس الحوار كما يأتي:

«بعد الظهر ذهبت لزيارة طلعت، لقد كان صريحًا إلى أبعد حد.. وصرح أن اليونانيين لابد أن يعيشوا خارج بلادهم- أي التي نشئوا فيها على السواحل التركية-، وأن ينفصلوا عنها بسلام، وفي أقرب وقت ممكن، أما الشيء الذي بدا أنه يضايقه كثيرًا فهو أن اليونانيين العثمانيين يدفعون الضرائب للحكومة اليونانية، هذه الأموال التي كسبوها من وطنهم التركي يدفعون بعضها لشراء السفن من أمريكا لليونان.

وقد أخبرني سكرتيري هاجوب أندونيان أنه عندما زار جامعة روبرت منذ ١٢ عامًا، وجد الطلبة اليونانيين اعتادوا على دفع جزء من مصروفهم كل أسبوع كمساهمة في بناء الأسطول اليوناني.

وقد اعترف طلعت أنهم يريدون استعادة جزيرتهم أو طرد اليونانيين من أرضهم» (١).

وبعيدًا عن الاحتجاج على طلعت بك وعن المعاملة العثمانية للشعب اليوناني، لا يوجد أي تلميح فيما كتبه «مورجنثاو» عن ذلك، ولا حتى مجرد اقتراح بأن سياسته غير مقبولة.

والسؤال هنا: لماذا في عام ١٩١٨ ادّعى «مورجنثاو» قائلًا: «أنا عارضت معاملته لليونانيين»، وادّعى كذلك بأنه كان يرى طلعت «كل يوم» أو «أنه اعتاد أن يناقش كل يوم علاقاته الدولية معي»؟ (٢)

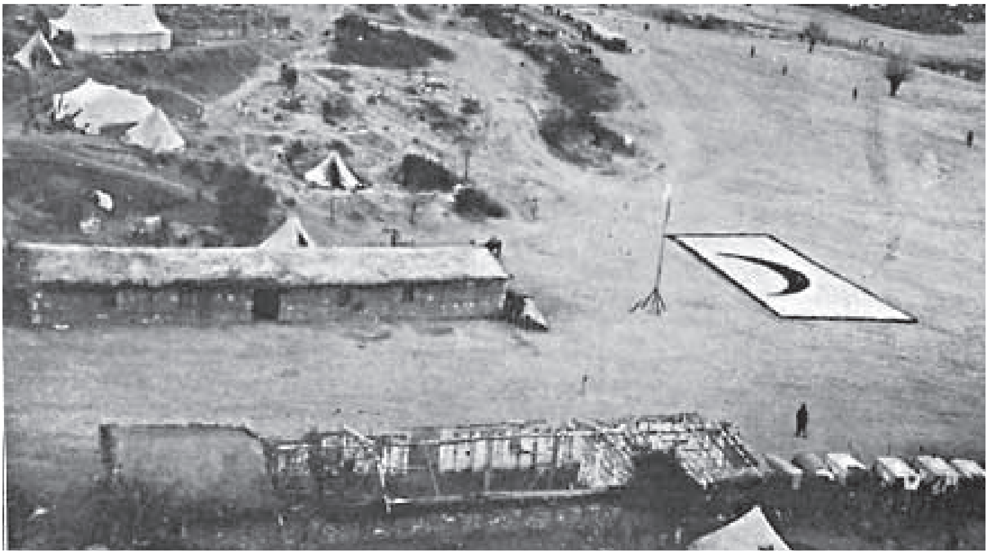
---

(1) FDR: HMS - Box No.5: Morgenthau family ‘Letter’ of July 15, 1914, pp.3 - 4.

(2) AMS: p.50.



الجنرال ميرتنز، الألماني الفني المسئول في الدردنيل والأميرال فون أوزدم، المفتش العام للدفاعات الساحلية العثمانية



الهلال الأحمر. من هنا يظهر المستشفى الميداني التركي

قد يكون هناك سبب واحد فقط، من جهة كان يريد وضع أساس لودّ طلعت له. ومن جهة أخرى كان يريد إنشاء وثائق خاصة بنشاطه في الدفاع عن كل الأقليات التي اضطهدت على أيدي المسلمين الأتراك.

٣- في محاولته لوصف الدوافع التي جعلت طلعت يعامل الأقليات هذه المعاملة، كتب «مورجنثاو»:

«أخذ طلعت بشرح سياسة دولته، هذه الكتل المتنوعة للإمبراطورية العثمانية- كما قال- كانت دائمًا تتآمر ضد الدولة، وذلك بسبب العداء التاريخي لبلدان هذه الشعوب مع تركيا، وبذلك فقدت الإمبراطورية أجزاءً تلو الأخرى من أرضها لصالح اليونان وصربيا وأرمينيا وبلغاريا والبوسنة ومصر وطرابلس الغرب (ليبيا).

وفي هذا السياق بدأت تتقلص أملاك الإمبراطورية العثمانية حتى أوشكت أن تتلاشى، إذًا فلابد أن تكون تركيا للأتراك.

وأضاف طلعت أنه لابد من التخلص من هؤلاء الشعوب الغريبة.

«تركيا للأتراك» الآن أصبحت فكرة يمكن اتّباعها كسياسة يقودها طلعت»[1].

هذا الحوار المزعوم اكتمل مع استخدام طلعت لجملة «تركيا للأتراك»، وطبقًا لقصة مورجنثاو، كان جزءًا من المناقشة نفسها- المشار إليها سابقًا- عن وجهة نظر طلعت في رغبته بطرد اليونانيين من مستوطناتهم في سواحل بحر إيجة.

وكما رأينا، لا يوجد أي مرجع يدعم زعم مقولته عن طلعت بأن تركيا للأتراك، كما سجل «مورجنثاو» نفسه في يومياته وخطاباته عن هذه المقابلة والنقاش.

إذًا لماذا وضع «مورجنثاو» هذه الكلمات على فم طلعت بك؟

---

(1) AMS: p.51.

والإجابة ببساطة أنه أراد أن يكون لديه مؤشرات قوية تدين الحكومية الثلاثية لجمعية الاتحاد والترقي- طلعت وأنور وجمال- لتدعم المحور الأساسي لقصة السفير مورجنثاو، وهي إدانة هذه الحكومة بمحاولتها إبادة الأرمن هذا الموضوع الذي لا يوجد له أي ذرة من التأييد في «اليوميات» أو «الخطابات» التي اعتمد عليها الكتاب [١].

وكثيرًا ما تقرأ هذه العبارات عبر القصة:

- «.. تركيا للأتراك، واحتقاره لكل العناصر الأخرى في شعبه..» [٢].
- «.. وكان ذلك هو تحديده للإمبراطورية التركية» [٣].
- « إنهم قرروا أن يؤسسوا دولة للأتراك على الأخص» [٤].
- « شغفهم ببناء إمبراطورية تركية بدأ بتدمير وإبادة كل المسيحيين..»[٥].
- «.. ثم آن الأوان أخيرًا لجعل تركيا دولة للأتراك وحدهم..»[٦].

وإذا أردنا أن نكون موضوعيين في الحكم على ذلك الكتاب، فإنه- تقريبًا- تم تصميمه فقط ليقنعنا بأن الحكومة التركية القائمة حينها كانت تمتلك أيديولوجية عنصرية.

وإذا كان «مورجنثاو» حاول أن يثبت ذلك عن الأتراك عام ١٩١٨ عند إصدار الكتاب فهو- بالتأكيد- فعل ذلك بعد مغادرته تركيا عام ١٩١٦، بينما لم يسجل أي شيء أثناء إقامته في استانبول لدعم هذا الرأي.

---

(1) AMS: p. 116. Labelled as the "central point of Turkish policy."
(2) AMS: p. 133. Sentiment attributed to Bedri Bey, the Prefect of the Police in the Capital.
(3) AMS: p. 174. Stated to be the aim of Djemal Pasha.
(4) AMS: pp. 28384-. Stated to be the goal of the Young Turks.
(5) AMS: p. 290. Given as a rationale for wanting to kill non-Turks.
(6) (AMS: p. 292. Given as Turkey's wartime agenda.

٤- في وصف المقابلة مع طلعت في ٢٩ أكتوبر ١٩١٤، والتي كان عنوانها: «مناقشة الحلف الألماني/ التركي»، كتب «مورجنثاو» عن هذه المناقشة قائلًا:

«في هذه المقابلة أخبرني طلعت بصراحة أن تركيا قررت أن تتخذ الجانب الألماني وتتحد معها، وأضاف مرة أخرى أنه في حالة فوز ألمانيا- وأن طلعت مقتنع بفوز ألمانيا- فإن القيصر سوف ينتقم من تركيا إذا لم تساعدهم في إحراز نصرهم»[1].

وفي كلمات أخرى يصور لنا «مورجنثاو» طلعت كقائد قد اتخذ قرارًا سياسيًّا حقيقيًّا، وقرر أن يكون بجانب ألمانيا التي ستكسب الحرب، بينما لا يوجد أي خطاب يصف هذه المقابلة، وقد سجل «مورجنثاو» انطباعه عن طلعت في ٢٩ أكتوبر ١٩١٤ في يومياته، وهي محادثة من المفترض أنها استمرت لمدة ساعة:

«يدعى..، طلعت..، كان لدينا حديث ممتع..، لقد اعترف بصراحة أنه قرر أن يكون بجانب الألمان، ويتحالف معهم، لقد قال إنه يجب عليهم أن يكونوا دولة قوية، وإذا لم يتموا الاتفاق مع الألمان في التحالف معهم، فإنهم بعد انتصارهم سيقرروا قطع علاقتهم مع تركيا، لذلك فنحن نستعد لخوض الحرب معهم»[2].

وفي الكتاب نرى «مورجنثاو» قد جعل اليوميات تلتوي لتجعل من طلعت النافر، أحد الذين ليس لديهم رأي بخصوص النتائج المحتملة للحرب، وبمعنى آخر ممن آمن بطريقة (أهوَن الشَّرَّين)، والعمل لصالح التحالف الألماني، بعد أن وازن البدائل وقرر الانضمام إلى الجانب الألماني الذي لا يقهر. لماذا؟

لأن ذلك يناسب أطروحته في جعل ماكينة الحرب الألمانية الشريرة ليست مدفوعة فقط من الأتراك.

مرة أخرى يضحي «مورجنثاو» بالدقة التاريخية، لصالح ما يمكن أن نسميه ببساطة «الدعاية».

---

(1) AMS p. 124.

(2) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for October 29, 1914.

٥- وعن زيارة مسائية متأخرة في ٣ نوفمبر ١٩١٣ في منزل طلعت بك للاحتجاج على معاملته للمدنيين الإنجليز والفرنسيين؛ كتب مورجنثاو:

«قلت له: حسنًا يا طلعت، إنني أعرف الوقت المناسب الذي أجيء فيه للتحدث معك صراحة، هل تعرف كم أنت أحمق في تمثيلك؟ لقد أخبرتني منذ ساعات أنك قررت التعامل بشكل لائق مع الإنجليز والفرنسيين، وطلبت مني أن أنشر ذلك في الصحف الأمريكية والأوروبية.

وبعد هذه الأخبار التي جاءت إلى طلعت في اللحظة التي هدمت كل جهودي لإقناعه، فإن وجه طلعت فقد كل عبقريته وأصبح أكثر وحشية، واتجه نحوي قائلًا:

«القصف الإنجليزي هذا الصباح تسبب في مقتل اثنين من الأتراك، ثم أضاف: ونحن ننوي أن نقتل ثلاثة مسيحيّين مقابل كل مسلم تم قتله».

وفي النهاية، أظهر طلعت عدة مزاجات في هذه المقابلة، فلقد تحول من الوجه العابس إلى الطيبة، ومن الوحشية إلى الكياسة» (١).

هذا الحوار الذي امتد لحوالي ست صفحات من كتاب مورجنثاو، صوّر طلعت بك كطفل غريب الأطوار مشوش، وفي نهاية المطاف تعود إليه براءته بعد إشباع رغبته في تحقيق أمنياته.

الجزء الجيد من ذلك الحوار المزعوم يعطينا اقتباسًا مباشرًا من اليوميات، ويتناول في جزء كبير منه طلعت بك، الذي بدأ حياته موظف تلغراف: «يجلس هنا بملابس منزلية رمادية اللون وطربوش أحمر، ويعمل على آلة التلغراف التي يملكها» (٢).. الخ.. الخ.

---

(1) AMS: pp. 141- 146.
(2) AMS: p. 144.

وفي الحقيقة، لا يوجد تعارض في المصدر الداخلي لهذه الصفحات الستة بين طلعت وبين «مورجنثاو» في يومياته عن ٣ نوفمبر ١٩١٤:

«ذهبت أنا وسكمافونيان إلى بورتي ثم إلى منزل طلعت، وقد كان يرتدي ملابس منزلية، بينما زوجته تختلس النظر، وقد بدأ طلعت كعامل تليفون.. اعترف طلعت بأن الجنرال الألماني رئيس الأركان عاد توًّا من ألمانيا وأخبرهم بأنهم مستعدون للتدخل.

وكان بالفعل ثمة صراع بين المدنيين والعسكريين الألمان والأتراك. تفاقمت المشاكل، كثرت الوعود حول ترك الرعايا الأجانب في أماكنهم، إذا لم يقم أسطول الحلفاء بقذف الموانئ غير المحصنة، وإلا فسوف يحتفظ بكل الأجانب كرهائن، سوف نقتل ثلاثة مسيحيين مقابل كل مسلم يُقتل، الدردنيل تم قصفه من الثامنة والنصف وحتى الثامنة وأربعين دقيقة، وقتل اثنان من الأتراك...»(١).

وهنا تكمن أكثر القضايا الكلاسيكية في قصة السفير مورجنثاو، والتي لا تحمل أي تشابه مع اليوميات التي من المفترض أنها كانت الأساس الذي بنيت عليه، حيث صورت طلعت بأنه- هذا التركي الضخم- يعبث على آلة التلغراف- ضرب بعنف على الزر الذي يزيد من تهيجه وغضبه» (٢).

وعندما أشير إلى أنه كان يتكلم في التليفون مع المسئول عن قصف الدردنيل، والذي أسفر عن مقتل اثنين من المدنيين، مع التوعد بقتل ٣ مسيحيين مقابل كل مسلم(٣).

لقد جمع اثنين من الأحداث التي لا علاقة لها ببعضها البعض، وهذا واضح من البداية إلى النهاية، وكل فصل يظهر أنه ليس ثمة شيء حقيقي، وأنها مجرد خيال خصب.

---

(1) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for November 3, 1914.

(2) AMS p. 144.

(3) AMS: p. 144.

كما أن السؤال يطرح نفسه.. لماذا؟

والإجابة أيضًا أن «مورجنثاو» تعمد تصوير طلعت بك، كما يصور الأتراك جميعًا، كوحوش قساة، ومتهورين في تصرفاتهم، وهي الأوصاف التي ترضي مورجنثاو.

في الواقع، كان هنري مورجنثاو هو جذر الخطر الذي لم يتمكن الأتراك من التنبؤ به.

وزير الداخلية العثمانية كان هو الرئيس الفعلي للحكومة التي كان «مورجنثاو» سفيرًا لديها، لكن «مورجنثاو» يتدخل في الأزمات الداخلية، ويمضي جزءًا من وقته في حل مشاكل المواطنين الأجانب الراغبين في مغادرة الدولة حتى بدون وجود تأشيرات خروج، يفعل ذلك من خلال عدد من المكالمات التليفونية.

هذه التصريحات الكريمة الْتَوَت فجأة واتجهت نحو الحديث عن طلعت؛ لتصوره كإنسان متوتر غير مستقر، لا يمكن ضبط تصرفاته إلا من خلال صوت حازم مثل صوت هنري مورجنثاو.

هندريك لديه عذره في إساءة فهم موجز ومدخل «اليوميات».

من ذلك يتضح أن كل التفاصيل الخيالية في هذا الفصل من الكتاب كانت قد أضيفت بواسطة «مورجنثاو» نفسه.

٦- في كثير من الأحيان كان ثمة صعوبة في الربط بين محتويات الكتاب ومحتويات اليوميات..

على سبيل المثال:

«أنا طلبت طلعت مرة أخرى. أول شيء فعله، فتح مكتبه وأخرج رزمة من البرقيات الصفراء».

«قال: لماذا لا تعطينا هذه الأموال؟ أجبته: أية أموال؟ قال: هذه برقية لك، أمريكا ترسل لك الكثير من الأموال للأرمن، لا ينبغي عليك إعطاؤها لهم، بل أعطها لنا نحن، فنحن في أشد الاحتياج لها.

أجبته: أنا لم أستلم أي برقيات.

قال: آه. لكنك ستستلم، فأنا استلم برقياتك دائمًا- كما تعرف- وبعد قراءتها أرسلها إليك» [١].

طلعت بك لم يكن فقط يقرأ رسائل الآخرين، وليس فقط هو الذي يعمل على تنفيذ إبادة جماعية للأرمن؛ بل كان أيضًا بلا قلب، حتى أنه تمادى وطلب من «مورجنثاو» أن يعطيه المال الذي جمعته أمريكا الكريمة من أجل أناس يعانون.

من خلال قراءة اليوميات بعناية، نجد في داخلها ما كان المصدر لهذا المكتوب، نقرأ:

«سألني طلعت: إذا كنت قد أخذت أية أموال إضافية من أمريكا عن طريق البرقيات التي استلمتها اليوم، وهذا اعتراف بأنه يقرأ أو يعرف محتوى البرقيات»[٢].

مع تقديم هذا المقطع من «قصة السفير مورجنثاو» نجد العديد من المشكلات:

أ- تدوين اليوميات كمصدر كان في ١٤ أكتوبر ١٩١٤ أي قبل ستة شهور كاملة قبل بداية ترحيل الأرمن، وعلى الأقل قبل ١٠ شهور من وصول أي مساعدات أمريكية للأرمن.

ب - تشير اليوميات إلى أن «مورجنثاو» استلم بالفعل برقية، كما أنه لم يشر إلى معرفة طلعت بالرسالة التي لم يرها.

---

(1) AMS:p.332.

(2) LC:PHM-Reel No.5: Morgenthau «Diary» entry for October 10,1914.

ج - استدل «مورجنثاو» من سؤال طلعت أنه رأى أو علم موضوع البرقية التي لم يعلمها من طلعت نفسه، رغم أنه يتفاخر - في الكتاب- باستلامه كل البرقيات قبل أن يراها مورجنثاو.

وبصراحة قام هندريك- بدليل ضمني من مورجنثاو- بتلفيق مناقشة أخرى بين طلعت ومورجنثاو ليصور القادة الأتراك كشخصيات غير إنسانية مثيرة للاشمئزاز.

٧- بالمناسبة، لقد ذهب «مورجنثاو» إلى مدى أبعد من الخيال الشعري، وسجل محادثات وهمية ليس لها أي أساس على الإطلاق لا في اليوميات ولا في الخطابات.

كتب مورجنثاو:

«ذات يوم طلب مني طلعت شيئًا هو أكثر ما أثار دهشتي على الإطلاق، فقد ذكر شركتين من شركات التأمين في نيويورك، وقد قامتا لسنوات متعددة بعمل تأمينات على حياة الكثير من الأرمن، وكان التأمين على الحياة عادة متفشية في الأرمن، قال لي طلعت: أنا أتمنى أن تطلب من شركتي التأمين هاتين أن ترسل لنا قائمة بالأرمن الذين تم التأمين عليهم- خاصة السياسيين- لأنهم قطعًا- قد ماتوا الآن، وليس لهم أحد يرث هذه الأموال، وبالطبع ستعود كلها إلى الحكومة التي ستستفيد منها. فهل ستفعل ذلك؟

كان هذا كثيرًا جدًّا، لدرجة أني فقدت أعصابي؛ فقلت له: إنك لن تحصل على أي قائمة مني، ثم قمت وخرجت» [١].

ثمة عدة حوادث فردية لها صلة بقصة السفير مورجنثاو.

هذه الصورة للرجل قاسي القلب، والإنسان عديم اللياقة، كما رسمها في ذاكرة القارئ.

---

(1) AMS:p.339.

بالتأكيد لم يتدخل أحد في هذا الحوار، وكان ذلك دقة من مورجنثاو، لكن السؤال هنا: هل حدث بالفعل هذا الحوار؟

إن الفحص الحذر لكل ما كتبه «مورجنثاو» منذ بداية ترحيل الأرمن في أبريل ١٩١٥ إلى تاريخ مغادرته استانبول في ١ فبراير ١٩١٦؛ لم ينجح في تحديد مرجع واحد لهذا الحوار المزعوم.

رغم أننا لدينا مئات المراجع في اليوميات عن هذه الفترة حول طلعت وحول الأمور المتعلقة بإساءة معاملة الأرمن، وهذه ثغرة يصعب مداواتها.

بالإضافة إلى أن «مورجنثاو» قدّم العديد من التقارير إلى الإدارة الأمريكية عن الأرمن، وهي لا تضم أي إشارة لهذه المناقشة المذكورة. كما أن هذه الفترة تغطيها بالكامل الخطابات العائلية بمئات الصفحات، والتي قدمت حرفيًّا مراجع لمقابلاته مع طلعت ومناقشاته حول الأرمن، هذه الوثائق تغطي يومًا بيوم آخرَ اثني عشر شهرًا في مهمته في تركيا، وقد فشلت- هي الأخرى- في توفير أي مرجع حول مصداقية هذا الحوار، وحول طلب طلعت- قاسي القلب- برغبة الحكومة التركية في الانتفاع بأموال التأمين على الحياة الخاصة بالأرمن الذين عاشوا وماتوا دون أقارب بسبب ما تعرضوا له من معاملة.

أكثر كلمات الحوار كانت بصيغة الغائب، مما يبين حقيقة أن هذا الحوار مزعوم بين طلعت ومورجنثاو، وليس له أي أساس لا في اليوميات ولا في الخطابات، باختصار إنه لا يظهر أي شيء سوى محاولة إظلام وتشويه صورة طلعت.

بالدراسة الدقيقة لأوراق مورجنثاو، وبعيدًا عن الشرح المزعج لقصة «مورجنثاو» التي تتضمن قسطًا كبيرًا من الخيال، عندما يرجع المرء إلى اليوميات قبل فترة ترحيل الأرمن قبل ٢٤ إبريل ١٩١٥؛ يمكن أن يرى أن «مورجنثاو» ناقش شئون إحدى شركات سميث في إشارة لطلعت بك في ٣ إبريل ١٩١٥، أي قبل ثلاثة أسابيع كاملة من بداية الترحيل؛ حيث نجد:



أنور باشا. «اسمي سيسجل في التاريخ»، هذا ما قاله الزعيم التركي للسيد مورجنثاو، باعتباره الرجل الذي دلل على ضعف أسطول إنجلترا. وأنه سوف يبين أن لها البحرية التي لا تقهر



الجبهة التركية في معركة الدردنيل. هذه المخابئ في معظمها كانت محمية جيدًا. دافع الأتراك فيها عن البطاريات ببطولة ومهارة كبيرة

«طلب طلعت وزير التجارة، تحدث إليه عن شركة التأمين على الحياة بنيويورك»[١].

ويمكن أن تكون هذه الكلمات البسيطة نقطة الانطلاق لهندريك، والتي بنى عليها هذا الحوار المزعوم، تمامًا مثلما فعل في الحوار حول البرقيات وطلبه أموال المساعدات التي تخص الأرمن؛ ليأخذها لصالح الحكومة التركية.

ونتساءل.. هل يمكن يؤلف هندريك- بالاتفاق مع مورجنثاو- هذه الفصول كلها؟

مرة أخرى، الإجابة: نعم.

بينما نجد قضية أخرى لأموال تخص شركات التأمين جمدت في تركيا ليس لها أي علاقة بالأرمن العثمانيين. بل على العكس، هناك سلسلة كاملة من يوميات «مورجنثاو» لشهري مارس وإبريل ١٩١٥ أظهرت لنا أن القضية كانت تناقض كل ما صوره لنا الكتاب.

ويمكننا أن نلخص ما جاء في اليوميات، فيما يتعلق بشركات التأمين في نيويورك واستانبول فيما يلي:

١- في ٢٤ مارس، قام المسئولون عن شركة التأمين في استانبول بزيارة مورجنثاو، وأخبروه بأن الحكومة العثمانية رفضت دفع حسابهم البنكي لأن شركاته كان مقرها في باريس (بينما كانت في فرنسا في حالة حرب مع تركيا)[٢].

٢- في ٢٩ مارس، قام «مورجنثاو» بمناقشة مشكلة هذه الشركات مع طلعت، وبالنسبة لأموال الشركة، لم يتم تسجيلها، وهم لا يريدون سحب أموالهم خوفًا من دفع الخسائر[٣].

(1) LC: PHM - Reel No.5: morgenthau <Diary> entry for April 3, 1915.
(2) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for March 24, 1915.
(3) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for March 29, 1915.

٣- في ٣ أبريل قام وزير الداخلية (طلعت) باستدعاء «مورجنثاو» للتحدث معه بخصوص أموال شركات التأمين[١].

ما سبق كان هو المرجع حول أموال شركات التأمين في أوراق «مورجنثاو» في ٢٦ أبريل ١٩١٥، ومن الواضح أن السياسيين مثل طلعت بك والحكومة كانوا مهتمين بالتأكد من أن الشركات لديها ما يكفي في العاصمة التركية لضمان قدرتها على الدفع لعملائها في أي حالات استحقاق.

وببساطة، فإن الحقيقة أن حسابات «مورجنثاو» مزيفة؛ لأن يومياته كتبت أثناء توليه منصبه في استانبول، وشركة نيويورك للتأمين على الحياة كان لديها عملها في العاصمة العثمانية استانبول، وبالتالي كان طلعت- وزير الداخلية- إذا رغب في قائمة ما، لكان حصل عليها[٢].

ومرة أخرى، السؤال الذي لا بد أن نسأله: لماذا ظهر هذا المقطع من قصة «مورجنثاو» في أول الفصل؟

بالإضافة إلى ما تم إيضاحه، فإن الهدف الذي أراد «مورجنثاو» الوصول إليه هو تشويه سمعة طلعت في أي فرصة ممكنة، وبأقصى ما يستطيع، فهذا المقطع نسج من خيوط وهمية وروابط غير صحيحة.

(1) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for April 3, 1915.

(2) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for October 5, 1915, records the following in regard to the status of the ‘New York Life Insurance Company,’ in Istanbul: “Representatives of ilie New York Life Insurance Company and their lawyer called for advice about what steps to take about registering under the new law.” Clearly, with representatives stationed in Istanbul, any and all information which the Government might wish to obtain concerning the business affairs of this company was easily available. That Talaat Bey would ask Morgenthau for information on any matter concerning this Company is unlikely.

من خلال قراءة أوراق «مورجنثاو» ترى أنه في بداية كتابته كان «مورجنثاو» الأب عضوًا تنفيذيًّا بالخارج لشركة التأمين على الحياة [١].

وفي اليوميات جاء أنه في ٢١ مارس ١٩١٨ أجرى مقابلة مع هذه الشركة في تمام الساعة ١٢ ومع هندريك في ٣٠ : ٢ (كما جاء في المخطوطة)[٢]، «مورجنثاو» الأب انتخب كعضو مجلس إدارة في ١ ديسمبر [٣] ١٩١٥، وكان الرجل فخورًا جدًّا أن صار شخصية مشهورة، وكتب لابنه هنري: «أنا أعتقد أن اختياري كواحد محل ثقة لشركة التأمين على الحياة جاء نتيجة أن دوائر القوى المالية تعرفت على مكانتي واسمي، ووجدت خبراتي مفيدة لها، ولكن ربما تكون المسألة لا شيء إلا مجرد سد العجز في أعمال الشركة»[٤].

أما إقبال الأرمن على التأمين على حياتهم فإن مرد ذلك هو بعد نظرهم، وأما اختيار «مورجنثاو» الأب في هذه الشركة فكان- كما ذكر هو- بسبب اسمه ومكانته (كان ابن السفير هنري مورجنثاو، صديقًا مقربًا للرئيس ويلسون).

---

(1) Indeed, Morgenthau had a long-time relationship with Equitable, going back at least as far as 1905, when as a member of the ‘policy - holders committee’ he successfully fought to protect the Company from Edward H. Harriman, For a detailed account of his role with Equitable, see: Burton J. Hendrick, “Ambassador Morgenthau’s Story - Introductory Article,” The World’s Work, April, 1918. pp.620 - 637. See: LC: PHM - Reel No. 7 for a letter of December 2, 1915 (while Morgenthau was still Ambassador in Turkey), appointing him a ‘Director of the Society’ of the ‘Equitable Life Assurance Society of the United States.’

(2) LC: PHM - Reel No.6: Morgenthau ‘Diary’ entry for March 21, 1918.

(3) LC: PHM - Reel No. 7: Equitable Life’s S.5. McCurdy letter to Morgenthau of December 2, 1915.

(4) FDR: HMJ/Gaer - Box Nos. 1 - 2: In a letter addressed to “My Dear Children,” of June 29,1915, Morgenthau discusses his selection as a ‘Trustee’ of the Equitable Life Assurance Society, suggesting that he may initially have been chosen as a Trustee (prior to June 29,1915), and then, subsequently, elevated on December 1,1915 to the position of’Director’ of the Society.

لكن هذه كلها مجرد افتراضات لا نريد أن نتمادى فيها، والشيء الواضح هنا، أنه لا يوجد في أوراق «مورجنثاو» ما يشير إلى هذا الحوار المزعوم بينه وبين طلعت.

٨- لا يوجد أي شيء يتصل بالحديث الوهمي بينه وبين طلعت في الكثير من المقابلات المهمة، مورجنثاو- ببساطة- في كثير من الأوقات يربط الأحداث مع بعضها البعض، والتي جاءت في مناسبات منفصلة، والتي بالطبع تعطي انطباعات خاطئة.

وكمثال على ذلك الأسلوب نشير إلى أخطر مناقشة أجراها مع طلعت حول معاملته للأرمن، وهو ما جرى في ٨ أغسطس ١٩١٥، أخذ طلعت زمام المبادرة وأرسل إلى «مورجنثاو» عن طريق صديقهم المشترك الحاخام الأكبر لليهود حاييم ناعوم، لقد أراد أن يقابل السفير الأمريكي وحده بدون مترجمه الأرمني سكمافونيان؛ لأنه أراد أن يناقشه في مسائل حول الأرمن[١].

وفي قصة «مورجنثاو» نقرأ رؤيته لهذه المقابلة:

«في بداية أغسطس أرسل رسالة شخصية إليَّ يسأل إن كان من الممكن أن أراه وحده. قال بنفسه: إنه سيمنع أي تدخل، كانت هذه المرة الأولى التي يقول فيها طلعت أن معاملته للأرمن مسألة ليس لي فيها أي شأن، المقابلة تمت في يومين،

(1) Although Morgenthau fails to name the messenger in his book, the 'Diary' entry for August 5, 1915 makes it clear that, as was often the case, Talaat had chosen to communicate with Morgenthau via their mutual friend, the Grand Rabbi of the Jewish Community, Haim Nahoum: "When I returned I found Mrs. Nahoum who said her husband had a message for me from Talaat. I sent for him and they stayed for supper. Nahoum told me that Talaat wanted me to call on him without Schmavonian as he wanted to talk to me about Armenian matters." (LC: PHM - Reel No. 5) It may be that Morgenthau's failure to name Nahoum as the messenger stems from the fact that having systematically portrayed Talaat Bey as a less than desirable character, he did not want to have to answer queries from his co-religionists as to why the leader of the Jewish Community in the Ottoman Empire was on such intimate terms with evil incarnate.

فقد تكررت مرة أخرى، زرت طلعت وقد حلقت لحيتي، ما إن جاء الوزير- قوي البنية- حتى بدأ حديثه المتباسط حول الموضة، وقال: لقد أصبحت شابًّا مرة أخرى، أصغر بكثير؛ لدرجة أنني لا أستطيع أن آخذ بنصيحتك بعد ذلك فرددت عليه: لقد حلقت لحيتي بعدما أصبحت كثيرة الشيب، لقد شيبتها معاملتك للأرمن»[١].

وفي الحقيقة أن حادث اللحية هذا لم يكن دقيقًا في حدوثه في ٨ أغسطس ١٩١٥؛ حيث الحديث عن أحوال الأرمن، لكن ذلك حدث قبلها بشهر، في ٣ يوليو عندما كتب «مورجنثاو» في اليوميات:

«طلعت يضايقني بخصوص حلقي لحيتي، وقال: إني أصبحت أصغر، ولن يأخذ بعد ذلك بنصيحتي. أنا قلت له: لقد حلقتها؛ لأنها صارت كثيفة،..»[٢].

هذا المزج بين المواعيد واللقاءات، خلق انطباعًا أن طلعت لم يكن جادًّا في طلبه بأن يأتي لمناقشة مسألة الأرمن في ٨ أغسطس، وكيف يمكن أن يكون جادًّا إذا أراد الحديث عن الحياة والموت، فيبدأ بالمزاح حول لحية السفير، ونستطيع أن نرى جدية الحديث عندما نقرأ اليوميات ليوم ٨ أغسطس ١٩١٥:

«أنا طلبت طلعت، كان لديه هناك رجل ليترجم، بدأ طلعت يتكلم بالإنجليزية، لكنه كان بطيئًا، أخبرني طلعت أنه يفضل كثيرًا أن آتي بمفردي عندما نتناقش في أمور تتعلق بالأرمن، ثم أخبرني أنهم بنوا سياستهم تجاه الأرمن على ثلاثة أسباب بارزة هي:

أولًا: أن الأرمن سعوا لتقوية أنفسهم والإثراء على حساب الأتراك.

ثانيًا: أنهم يريدون الانفصال.

ثالثًا: أنهم شجعوا أعداء تركيا ضدها بشكل علني.

(1) AMS: p. 336.

(2) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for July 3, 1915.

لذلك كان القرار الذي لا رجعة فيه: التخلص منهم؛ حتى يجعلوا موقف دولتهم قويًّا قبل نهاية الحرب.

لقد جادلته كثيرًا، وبكل طريقة ممكنة، لكنه قال: إن النقاش حولهم سيكون بلا فائدة؛ لأنهم بالفعل تخلصوا من ثلاثة أرباعهم، حيث لم يعد يوجد واحد منهم في كل من: بتليس، فان، أرضروم. كما أن الكراهية تكتنف شعور الجميع، لذا يجب أن ينهوا ما بدؤوه.

وقد تحدثت معه عن الخسائر التجارية، لكنه قال لي: إنهم لا يهتمون؛ حيث أخبرني أنهم حسبوا خسائرهم وعلموا أنها لن تتجاوز خمسة ملايين، وقال: إنهم ينتهجون مع الأرمن نفس السياسة التي نتعامل بها نحن مع الزنوج، أنا أعتقد أنه كان يعني الهنود.

طلبت منه أن يكون هناك بعض الاستثناءات لبعض الحالات، وقد وعدني بعمل هذه الاستثناءات، مثل بعض أرمن استانبول والأرمن القادمين من أزمير، كما قال إنه سيعتني بالأرمن في زور (دير الزور)، بل وفي كل مكان آخر، لكنهم لا يريدون أي أرمني في الأناضول.

وقد أخبرته ثلاث مرات أنهم يرتكبون أخطاءً خطيرة، وسوف يندمون على ذلك، فقال: «نحن نعرف أننا أخطأنا، ولكن لن نندم أبدًا» (1).

هكذا جاءت تلك المحاورة في قصة السفير مورجنثاو، بهذه النبرة، والتي تعتبر أكثر المناقشات جدية في الكتاب.

ولكن لا يوجد أي تلميح في اليوميات عن كل ما جاء في الحوار المزعوم؛ فطلعت كان صريحًا إلى أبعد حد.

---

(1)LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau 'Diary' entry for August 8, 1915.

وبالقراءة الجيدة لتعليقاته المسجلة في يوميات مورجنثاو، نجده يقترح مقارنة خططه تجاه الأرمن بما فعله الأمريكان مع الزنوج. ومن باب السخرية يعزي إلى أنور قوله: بأنهم سوف يهتمون بالأرمن في المناطق الأخرى من الإمبراطورية، لكنهم لا يريدون الأرمن في الأناضول(١).. لماذا لم يتدخل «مورجنثاو» عندئذ؟؛ لأن ذلك لم يكن بعيدًا عما جاء به الآخرون، بما فيهم سينوب يزجيان بطريرك الأرمن البروتستانت في الإمبراطورية العثمانية، فبعد شهر من الحوار المذكور كتب «مورجنثاو» في يومياته عن زيارة يزجيان له:

«سينوب يزجيان، بطريرك البروتستانت الأرمن، طلب من زميل دراسته سكمافونيان أن يلقاني.. وفوجئت بسماعي أخباره أن الأرمن في زور كانوا راضين عن أحوالهم إلى حد ما؛ حيث هم بالفعل قد استقروا ومارسوا أعمالهم وبدؤوا في تحصيل رزقهم، وكان هؤلاء هم بداية الترحيل، ويبدو أنه لم يكن هناك أي شيء عن المذابح، وقد أعطاني قائمة بأماكن المخيمات المختلفة، وأعتقد أن أكثر من نصف مليون مشردون، وكان أكثر قلقًا بشأن قدوم الشتاء وضرورة تقديم المساعدات لهم قبل حلوله» (٢).

كل التعليقات في قصة «مورجنثاو» كانت متأخرة إلى سبتمبر ١٩١٥، ومورجنثاو لم يجزم ما إذا كان الأرمن ضحية محاولة إبادة بواسطة القادة الأتراك.

ومع إضافة هذه الحوار المخترع إلى سند الإشاعة، نجد هندريك ومورجنثاو حوَّروا الكلمات والاقتباسات(٣).

(1) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for August 8, 1915.

(2)LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for September 26,1915. See also: FDR:HMS - Box No.8:In his family’Letter’ of October 16,1915 (pp. 5- 6)Morgenthau adds the phrase: “in the interior” to his comment that Bezjian told him “a great deal about conditions..,” - thereby clarifying the nature of their discussion.

(3) AMS: p. 342.

« سياسة طلعت تجاه الأرمن تبين تباهيه وغروره الذي أبداه في قوله لأصدقائه:

أنا أنجزت كثيرًا في حل المشكلة الأرمنية، ففي ثلاثة شهور أنجزت أكثر مما أنجز عبد الحميد في ثلاث سنوات»[١].

إضافة إلى تضمين ذكر رئيس كلية روبرت في استانبول، والذي كان صديقًا لمورجنثاو أثناء وجوده هناك. ترك الرجل كتابًا، وللمفاجأة لم يذكر في كتابه أي شيء عن هذه الإشاعات[٢].

لقد عانى «مورجنثاو» كثيرًا، ولم تكن معاناته من تلقاء نفسه، لكنه خدم هدفًا قوميًّا لإلقاء الأضواء على طلعت ورسم صورة سلبية له، فهو يعتبر أسوأ ما في القصة، حتى أن الإشاعات وضعت بين علامات تنصيص ووضعت على لسان طلعت.

٩- ثمة مناقشة جرت في مقابلة مع السفير الألماني ونجنهايم في ١٥ أكتوبر ١٩١٥، قال عنها «مورجنثاو»:

« بعد أيام قليلة من عودة ونجنهايم، قابلته في الطريق ومشينا معًا إلى السفارة الأمريكية؛ حيث كان ينوي الذهاب، وكنت قد علمت مؤخرًا من طلعت أنه ينوي ترحيل كل الأرمن من العاصمة، فقدمت مرافعة مطولة عن ذلك إلى الرجل الوحيد في العاصمة القادر على إنهاء هذه الفظائع»[٣].

---

(1) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for July 18, 1915.

(2) Caleb Gates, Not To Me Only. Princeton (Princeton University Press), 1940. See pp. 18 8 - for Gates’ less than flattering portrait of Talaat. However, despite numerous anecdotes about his relations with Talaat during the war years, Gates makes no reference to the ‘gossip’ he passed on to Morgenthau, which the latter chose to present to the world as fact.

(3) AMS: p. 380.

وبالفحص التام ليوميات وخطابات مورجنثاو، التي من المفترض أن هذه الحوارات مقتبسة منها؛ نجد عكس هذه الادعاءات في ذلك النص.

«مورجنثاو» لم ير طلعت طوال النصف الأول من أكتوبر مطلقًا، كما أن طلعت لم يقل له أي شيء خلال المقابلات الأربعة التي جرت في ٦ ، ١٣ ، ٢٠، ٣٠ سبتمبر ١٩١٥ [١].

أمّا ما ذكر فليس إلا مجرد ثرثرة، ليس من طلعت كما زعم، إنما ممن قالها وهما اثنان من الأرمن: سكمافونيان وأندونيان.

وفي اليوميات بتاريخ ٧ أكتوبر ١٩١٥، نجد التعليقات التالية:

«اليوم تسلم سكمافونيان خبرين متناقضتين يمكن تصديقهما، أحدهما من النائب الأرمني الذي قال إن طلعت باشا وعده بأنه لن يتم أي إجراء ضد الأرمن. وهم الآن ينوون مناقشة موضوع اليونان، وأخبرني رجل آخر أنهم يتوخون الحذر حتى اكتمال الأمر.

كتب لي أندونيان تقريرًا عن مقابلة البطريرك الأرمني بالأمس مع طلعت. مواقف طلعت مع بطريرك الأرمن لم تكن متشابهة. لقد قال لنا إن كل المذابح ضد الأرمن كانت مبررة تمامًا.

وجدت استياءً كبيرًا من محاولة الأرمن الاستعانة بالقوى الأوروبية لدعمها في الانفصال وتكوين دولة مستقلة في الأناضول، وقال: إنهم كانوا في انتظار فرصة لمعاقبة الأرمن. أجاب البطريرك أنهم- الحكومة- ربما عليهم معاقبة الأحزاب والجماعات المسئولة عن ذلك، وليس معاقبة النساء والأطفال، قال: إن هذه الأشياء لا مفر منها..» [٢].

---

(1) LC: PHM - Reel No. 5: Morgenthau 'Diary' entries for September, 1915. See also: FDR: HMS - Box No. 8: Morgenthau to family 'Letters' of September 13, 1915, and October 1, 10, 16, and 25, 1915.

(2) LC: PHM —Reel No.5: Morgenthau 'Diary' entry for October 7, 1915.



منظر عام لشمال مدينة غاليبولي. هذا الجزء من الدردنيل عمليًّا غير محصن.

وفي كلمات أخرى ذكرها «مورجنثاو» في كتابه وهي ذات صلة بالموضوع كانت عن مقابلة في ١٥ أكتوبر ١٩١٥ مع ونجنهايم، نقرأ:

«مؤخرًا قال لي سكمافونيان: إن شخصًا ما أخبره أن الأتراك يعتزمون إتمام الأمر وترحيل بقية الأرمن..».

مرة أخرى نرى «مورجنثاو» ينقل الشائعات ويستخدمها، وكانت في ذلك الوقت من قِبَل المستشار الألماني، وقيل إنها من مصدر غير معلوم، ونسبت إلى طلعت.

١٠- رغم وجود اتساق في بعض الأحداث؛ لأن مورجنثاو نقلها بعناية، لكنها استشهادات في معظم الأحيان ملفقة، خاصة تلك المنسوبة إلى طلعت. وكمثال على ذلك لقاءه الأخير- قبل مغادرته استانبول- مع القادة الأتراك، الذي يفتقر تمامًا إلى الصحة، يبدأ روايته قائلًا:

« كان لي مقابلة وداع مع أنور وطلعت يوم ١٣ يناير »[١].

حتى في هذه الجملة القصيرة نراه يدمج أكذوبتين: الأولى: أنه لم تعقد أي لقاءات وداع مع طلعت وأنور معًا، وإنما قابل كلًّا من الرجلين على حدة، والثانية: أن هذه الاجتماعات المنفصلة تمت يوم ٢٩ يناير ١٩١٦[٢].

ومع هذه البداية المبشرة بالخير، يمكن للمرء أن يتوقع أو يتخيل كيف سيدوّن «مورجنثاو» وداعه للقادة الأتراك- طلعت وأنور- في الكتاب، مع ما سجله في يومياته وخطاباته التي تظهر مدى تمتعه بعلاقات ودية سواء على المستوى المهني أو الاجتماعي، يبدأ كلماته على هذا النحو:

(1) AMS: p. 390.
(2) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for January 29, 1916.

« قال لي طلعت بالطريقة الشرقية المهذبة والمنافقة: نحن نأمل أن تعود قريبًا»[١].

وذلك ليذكر القارئ أن طلعت لم يكن صادقًا حتى في وداعة؛ ليجعله في ذهن القارئ نموذجًا للذم، طبقًا لرؤية هندريك ومورجنثاو.

ورغم ذلك، مع فحص الوثائق الأخرى التي لها علاقة بالكتاب، نجد أن ذمّ طلعت لم يكن إلا من اختراع روبرت لانسينج وزير الخارجية الأمريكي، إذ أرسل إليه «مورجنثاو» كل فصول كتابه لمراجعته، والتعليق عليها شخصيًّا. وبالفعل قام لانسينج بذلك كما ذكرنا آنفًا، وقبيل نشر الكتاب كتب «مورجنثاو» إلى لانسينج يستأذنه في أن يكتب في المقدمة شكرًا لمساعدات لانسينج في قصته، والمقترحات القيمة التي أبدها على مخطوطة الكتاب»[٢].

لكن لانسينج عارض هذا التكريم قائلًا: «أنا متأكد أنك تتفق معي في الرأي أنه من الأفضل عدم ذكر اسمي في أي شيء يتعلق بالكتاب» [٣].

وافقه «مورجنثاو» على ذلك وساعد- حتى اليوم- على إغفال هذه النقطة المهمة، فقد كانت تعليقات لانسينج على المخطوطة بخط يده تؤخذ على محمل الجد، وهذا ما يتضح في المثال التالي: ففي مسودة مورجنثاو وهندريك تم ختام الفصل على النحو التالي:

«قال طلعت: إننا نأمل أن تعود قريبًا، وأضاف: نحن نشعر جميعًا أنك واحد منا» [٤].

---

(1) AMS: p.391.

(2) FDR: HMS - Box No. 12: Morgenthau to Lansing letter of September 22, 1918.

(3) FDR: HMS - Box No. 12: Lansing to Morgcnthau letter of October 2, 1918.

(4) FDR: HMS - Box No. 12: Page 6 of 'Article Nine' appended to the Lansing to Morgenthau letter of October 2, 1918.

لكن لانسينج عدّل هذه الجملة وأضاف: «بالطريقة الشرقية المهذبة والمنافقة»(١).

التصحيح أو التعديل الذي قام به مورجنثاو وهندريك بناءً على طلب لانسينج ليس فقط تدخلًا غير مبرر ولا مطلوب؛ إنما القراءة الكاملة ليوميات «مورجنثاو» حتى آخر لقاء له مع طلعت توضح لنا الطبيعة الحقيقية للعلاقة التي تربط بين الرجلين (٢)، يقول «مورجنثاو» في اليوميات عن اللقاء الأخير:

«.. طلبت من طلعت- أيضًا- أن يعدني بعدم التدخل ضد المصالح الأمريكية وغيرها من البعثات التي أنيطت بي مسئوليتها، وكذلك المصالح اليهودية، فوعدني بذلك كله، لكنه قال إنه سوف يحتفظ لنفسه ببعض اللهو والمتعة مع البريطانيين والفرنسيين، وذلك حتى تعدنا بأن تعود مرة أخرى ثم سألت طلعت إن كان من الضروري أن أودع السلطان قبل سفري، فقال: ينبغي أن تفعل ذلك بالتأكيد، وسوف أرتب لك ذلك..» (٣).

كل من يقرأ هذا النص يدرك أنه كانت هناك صداقة صريحة وواضحة تربط بين طلعت ومورجنثاو على عكس التعليقات التي كتبها لانسينج.

لماذا إذًا سمح «مورجنثاو» بإدراج الكثير من المواد المتعلقة بهذه الافتراءات على طلعت، بعد عامين من هذا الواقع؟

---

(1) FDR: HMS - Box No. 12: Ibid.

(2) FDR: HMS - Box 12: Morgenthau to Hendrick letter of October 3, 1918 includes the following passages: "Enclosed please find suggestions of the Secretary of State. I have marked the pages upon which they appear in t lie type written article which we sent him. I think most of the suggestions are good... In regard to suggestion 3, I think it would he well to insert at the end of line 13, after the word 'ADDED,' 'WITH THE USUAL INSINCERE ORIENTAL POLITENESS!"

(3) LC: PHM-Reel No.5: Morgenthau <Diary> entry for January 29,1916.

الجواب واضح، لقد كان كتاب «مورجنثاو» جزءًا من خطة الدعاية في زمن الحرب، غرضها الصريح هو حشد الرأي العام لدعم جهود الرئيس ويلسون للحرب.

لقد كان «مورجنثاو» يعي جيدًا أنه يضحي بعلاقات وثيقة مع قادة تركيا، هذه التضحية في سبيل تحقيق مصلحة أمريكا في شحن الشعور العام لمناهضة تركيا ولدعم سياسة الدولة في دخول الحرب.

وفي القسم الأخير من الكتاب والحوار الأخير، موقعة وداعه لطلعت، نرى كيف عبّر «مورجنثاو» عن «الحقيقة».

« والآن تحدّثتُ لآخر مرة عن الموضوع- الأرمن- والذي شغل ذهني بشكل كبير لعدة شهور، كنت أخشى أن تكون آخر مناشدة أيضًا غير مجدية، لكني قررت أن أحاول، وسألت: وماذا عن الأرمن؟ وفي لحظة تحول طلعت واختفت ابتسامته، وصار وجهه صلبًا، وبرقت عيناه مثل النار في وحشية مرة أخرى قائلًا: عن أي شيء تتحدث؟ ولوح بيديه، وقال: لقد انتهى كل شيء».

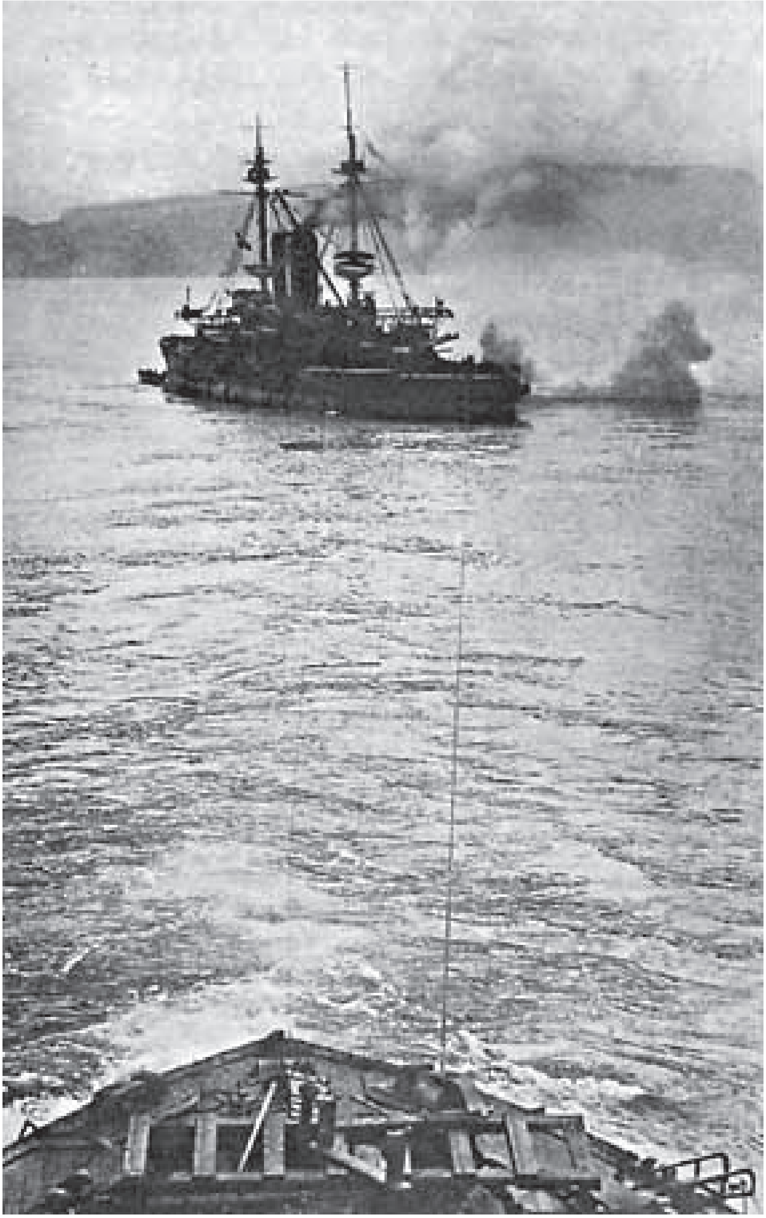
هذا هو الوادع مع طلعت «انتهى كل شيء، كانت تلك كلماته الأخيرة لي»٠

وكما رأينا يوميات «مورجنثاو» لا تحتوي على أي شيء يشير إلى هذا اللغو الذي ختم به.

شيء واحد يمكن أن يقال عن الطريقة التي صور بها هندريك ومورجنثاو «طلعت»: أن تكون متناسقة، وتعكس ملامح تستحق القدح والذم حتى النهاية، وهناك كانت تنتظرها يد لانسينج مرة أخيرة لتضع آخر لمساتها على هذه الصورة.

الفصل الخامس
رؤية معاصرة لقصة مورجنثاو

والحقيقة كما قال شراينر أن هذا الكتاب «قصة» نسجت حول أحداث وشخصيات حقيقية، وكتبت بهذه الطريقة لإعطائها سمة التاريخ وبريقه، لحسابات أخرى.



السفينة البريطانية «ألبيون». قصف التحصينات في المضيق، وتظهر الآثار بالقرب من السفينة أن الأتراك ردُّوا بقوة

لم تكن الصورة التي رسمها لطلعت وتشويهه إياه فعلًا خاصًّا، وإنما كان حال شخصيات أخرى كثيرة، فكذلك فعل مع أنور باشا وغيره من الزعماء الأتراك، وكذلك السفير الألماني ونجنهايم. وبالمقارنة مع رأيه الحقيقي فيهم وفق ما ورد في يومياته أو خطاباته، أو حتى التقارير التي كان يرسلها إلى الإدارة الأمريكية في واشنطن، يتبين لنا مدى التحريف الشديد في «قصة السفير مورجنثاو».

وإذا أردنا الدفاع عن مورجنثاو، فأفضل ما يمكننا قوله إنه أعاد الكتابة في المدة بين مغادرته تركيا في فبراير ١٩١٦ وبين العامين التاليين الذين كتب الكتاب بعدهما في ١٩١٨.

لابد أن هناك تغيرًا جذريًّا في الأحداث والدوافع وفي رأسه؛ جعله يفعل ذلك.

وثمة تفسير بديل يبدو أكثر احتمالًا، أن «مورجنثاو» كان بالفعل مؤمنًا بعدالة هدفه في إثارة الرأي العام الأمريكي لصالح الرئيس ولسون في سعيه للحرب، فأقنع الرجل نفسه بأنه يخدم الصالح العام، من خلال رسم صورة للثلاثي - طلعت وأنور ووانجنهايم- كمصدر ومادة خام للشر، رغم أنهم كانوا جميعًا أصدقاءه، وبينهم ثقة متبادلة طوال إقامته في استانبول؛ كان الرجل يريد إضفاء الطابع الشخصي للشر على الحرب.

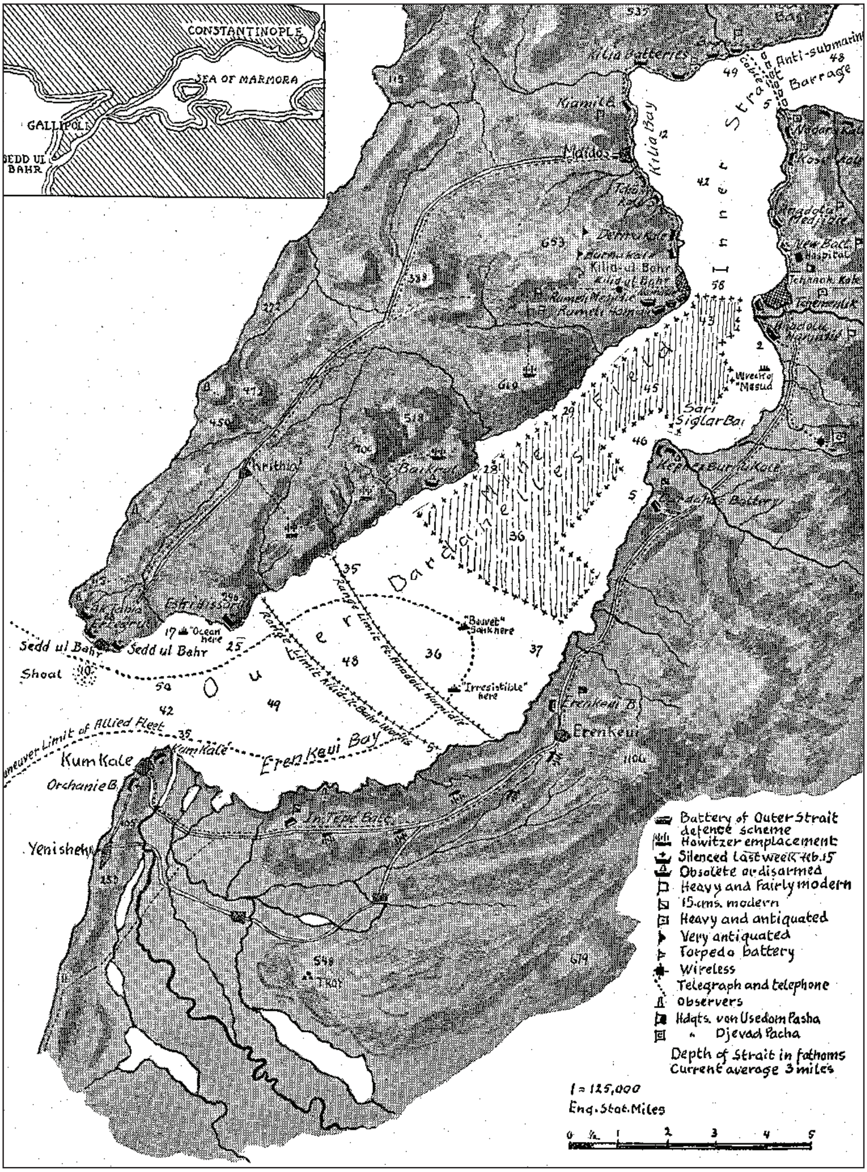
لماذا لم يدرك أحد فداحة الظلم الذي ارتكبته كتاب «مورجنثاو»؟

هذا السؤال لابد أن يواجه أي شخص يقرأ بمنهجية السجلات المكتوبة بواسطة «مورجنثاو» خلال ٢٦ شهرًا هي مدة إقامته في تركيا، والتي تؤكد أنه كان مشاركًا في لعبة معقدة جدًّا في السياسة الدولية، ويقارن تلك السجلات مع النصف الخام من الحقائق، والنصف الآخر من الأباطيل التي ملأ بها قصته.

وثمة مصادفة خطاب محفوظ في أوراق «مورجنثاو» في مكتبة روزفلت (١). أرسله جورج أ. شراينر إلى «مورجنثاو»، يدل على أن واحدًا من معاصريـه- على الأقل- اعترض بشدة على «المجهود» الذي يبذله مورجنثاو.

---

(1) FDR: HMS — Box No. 12: Schreiner to Morgenthau letter of December 11, 1918.



الدردنيل كما كان في ١٦ مارس ١٩١٥. عندما زاره السفير مورجنثاو، بناء على دعوة من الحكومة التركية، وزار كل البطاريات. وقد عثر على بطاريات دفاع جيدة، ولكن فقيرة من الذخيرة و**outranged** تمامًا من قبل المدافع لأساطيل الحلفاء. في ١٩ مارس، الألمان والأتراك كانوا على استعداد للتراجع إلى الأناضول وترك القسطنطينية تحت رحمة بريطانيا



الجناح الأمريكي في المستشفى التركي



طلاب كلية القسطنطينية (مؤسسة أميركية). على شرفة مقر السفارة الأمريكية. الشاب على يسار السيد مورجنثاو هو M. Kolouchef ، السفير البلغاري في تركيا

الرسالة مؤرخة في ١١ ديسمبر ١٩١٨، كتبها أحد أبرز المراسلين الأجانب الذين عملوا في تركيا في الفترة من فبراير وحتى ديسمبر ١٩١٥، وقد اطّلعنا على اسم شراينر قبل ذلك خلال كتاب مورجنثاو[١]. وكذلك في يوميات «مورجنثاو» في ١٩١٥[٢]. وكذلك ذكره في خطاباته العائلية[٣].

ومما لا شك فيه أن «مورجنثاو» وشراينر شهدا سويًّا الكثيرَ من اللقاءات والمقابلات، إذ سجلت يوميات «مورجنثاو» أكثر من ثلاثين إشارة للرجلين في الفترة من ٩ فبراير إلى ٣١ مايو[٤].

(1) AMS: p.225: Interestingly, Morgenthau claims to have "secured permission" for Schreiner to visit the war - zone in the Dardanelles, a statement strongly contradicted both by the testimony of the Morgenthau 'Diary' entries dealing with his relationship with the journalist, and, in the Schreiner letter as well. In regard to Morgenthau's claim, Schreiner wrote: "Such minor matters as t hat you were responsible for my trip to the Dardanelles, when that was not at all the case, I can afford to overlook..." (FDR: HMS - Box No. 12) - Schreiner to Morgenthau letter of December 11, 1918.

(2) LC: PHM — Reel No. 5: Morgenthau 'Diary' entries for 1915 show that Schreiner visited on the following dates: 2 /9,2 /10, 2 /11,2 /14, 2 /15, 2 / 16 (twice), 2 /18, 2/ 20, 2 /22, 2 /23, 2 /25, 2 /26, 2 /27, 3 /2, 3 /16, 4 /5, 4 /6 (twice),4 /9 ,4 /13 ,4 /1, 4 /17, 4 /18 ,4 /22, 5 /23, 5 /24, 5 /31, 6 /8, 7 /2, 7 /12, 8 /9, 8 /27, and 8 /29/ 1915.

(3) FDR: HMS - Box No.7: Family 'Letter' of March 15,1915, p.9, where Morgenthau comments on Schreiner, who was covering the Dardanelles campaign at the time of Morgenthau's two-day visit, in the following terms: "We the;returned to our ship where I was nwt by flue two American reporters, one representing the American Associated Press, and flue other the Chicago Daily News, and I willingly submitted to an interview. They acted like a couple of young fellows off on a fishing trip. They told me they were being very well treated and give;every opportunity to witness the fight. They are both strongly pro -German. Schreiner, of the Associated Press, was born in South Africa and fought against the English there. The ot her one, Swing is flue grandson of a former President of Holyoke College." (LC: PHM - Reel No. 5: 'Diary' entries for February-March, 1915).

(4) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau 'Diary' entries for dates between February 9, 1915 and May 31, 1915.



السلطان عبد الحميد. المعروف في التاريخ باسم "السلطان الأحمر" وصمه جلادستون بأنه "القاتل الأعظم". كانت سياسته في حل المشكلة الأرمنية هي قتلهم قاطبة. الخوف من إنكلترا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية؛ كان الشيء الوحيد الذي منعه من إنجاز هذه المهمة. لكنّ خلفاءه: طلعت وأنور، لم يعد أحدهم يخشى هذه الدول، وقد نفذوا برنامجه بنجاح أكثر.



وجهة نظر لدولة أرمنية



قرية لصيد الأسماك على بحيرة فان. في هذه المنطقة حوالي ٥٥،٠٠٠ أرمنيًا

وقد عرّفه «مورجنثاو» بأنه «أشهر مراسل أمريكي لوكالة أسوشيتد برس» (١)

ومرة أخرى يقول عنه: «مراسل خاص لأسوشيتد برس الأمريكية والذي تنشر مقالاته في حوالي ٩٣٧ صحيفة يومية» (٢)

رسالة شراينر إلى «مورجنثاو» هيأت فرصة للقائهما في الإدارة الأمريكية في ديسمبر ١٩١٨، كان شراينر قد قرأ كتاب «مورجنثاو»، وكتب إليه:

«.. وأن أكتب هذه الرسالة في إطار الانطباع بأن السلام في العالم لن يستفيد من جهودك الباهظة، فقبل أن يكون هناك تفاهم بين كل الشعوب، يجب أن يكون هناك منظور صحيح للأمور، هذا المنظور يكون بمعرفة النسب الحقيقية للصواب والخطأ.

لقد كنت أعرف البارون ونجنهايم أكثر مما تعرفه أنت، وآمل أن مؤرخي المستقبل سوف ينتبهون لما قلته عن الرجل، إنه من السهل الافتراء على الموتى وتشويههم.

وكما فعلت أنت في استانبول كنت أنا هناك أيضًا، وعرفت ربما أكثر مما عرفته أنت، وجعلك تنصب نفسك حكمًا.

ولصالح الحقيقة؛ أقول: أنا أيضًا رأيت بعض القسوة لدى الأتراك، فضلًا عن كثرة القتلى من الأرمن، عن أي وقت مضى، خاصة في مناطق الثورة، وكان مصير هؤلاء الناس محزنًا حقًّا، ولكن دون الحاجة إلى المبالغة فيه كما فعلتم، ولقد وقفت على كثير من تفاصيل القضية الأرمنية أكثر من جميع أفراد السفارة الأمريكية في استانبول.

لأكون صريحًا معك؛ أنا لا أستطيع أن أثمن جهودكم لتصوير الأتراك كأسوأ شعب في العالم، ولا الألمان كذلك،..

(1) AMS: p. 225.

(2)LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for February 9, 1915.



اللاجئون في مدينة فان يتزاحمون عند مخبز أملا في الحصول على الخبز ، فقد تم طردهم من منازلهم دون سابق إنذار ، وشردوا إلى الصحراء . مات الآلاف من هؤلاء الأطفال والنساء والشيوخ خلال ذلك الترحيل القسري ، ليس فقط نتيجة الجوع والظروف السيئة التي تعرضوا لها ن ولكن أيضا بسبب قسوة ووحشية حراسهم

أنتم تعلمون جيدًا- وأنا كذلك- أن البارون ونجنهايم كان له مواقف في صالح الأرمن وصلت إلى قطع علاقته مع الأتراك من أجلهم، وتلقى ردودًا حادة جدًّا من طلعت بك.

أليس من حق كل الحكومات اتخاذ احتياطاتها لإخماد التمردات؟

يبدو لي أنه حتى بريطانيا العظمى يفترض أخذ احتياطاتها لو أراد شعبها الحكم الجمهوري. نعم إن تصرفات تركيا تجاوزت كل الحدود المعقولة وهو أمر مؤسف للغاية، ولكن هل تظن أنهم في الشرق ينظرون للأمور كما نفعل نحن في الغرب؟

.. وأنا أتساءل الآن ما هو رأي أصدقائك في استانبول فيما بذلته من جهد؟ على الأخص أنور الذي أظهرته كفارس ضعيف، وقدمت الكثير لترسم لنا صورته تلك؟

أليست الحقيقة أن أنور باشا كان قائدًا شابًّا مستنيرًا كما عرفناه؟

لقد كان بطبيعة الحال بلا خبرة، وهو متهور إلى حدٍّ ما، وبه عيوب أخرى.. على أية حال فلقد صورته في صور غير محترمة، على اعتبار أننا في الغرب- من المسلم به- أننا من القديسين.

وأنتم تتفقون معي بلا شك أن تركيا من الدول القليلة العريقة التي لا تزال تحتفظ بكيانها.

أنا لا أود أن تعتبر ذلك بمثابة إعلان حرب عليك، إن هدفي فقط هو أن أخبرك بأن هناك إنسانًا واحدًا- على الأقل- لا يهاب كسر شوكة السفير السابق للولايات المتحدة؛ لأن الحقيقة سوف تسود في النهاية.

إن الأحداث الدبلوماسية على مضيق البوسفور سوف يعرفها الكثيرون في بلادنا، كما عرفت في أوروبا، وذلك بمجرد حصولي على وثائقي، فأنا لا أعتمد

على الذاكرة في كتاباتي عن مثل هذه الأحوال، وكوني صحفيًّا، ولست دبلوماسيًّا؛ فيجب عليّ توخي الحذر فيما أقول..»(١).

مر اثنان وسبعون عامًا قبل أن تصدق في نبوءة شراينر في «الحقيقة سوف تظهر وتسود في النهاية..».

فمورجنثاو بعد أن بذل جهوده لتشويه صورة الأتراك وزعمائهم، وادعاؤه بأنه يعرف الكثير من الحقائق. من المفارقات أنه يميل إلى الاحتفاظ بالرسائل القديمة، وكان ضمنها رسالة شراينر(٢).

كانت تحليلات شراينر لأهداف ودوافع «مورجنثاو» صحيحة، حتى بدون أن يطلع على الخطابات بين الرئيس ويلسون ومورجنثاو بشأن تدوين هذه القصة.

لقد أبدى شراينر رفضه التام للمنطق القائل بأن مثل هذا الكتاب من شأنه أن يساهم في «السلام العالمي»؛ لأنه لا يستطيع أن يميز ما فيه من الحقيقة أو الباطل.

كما رفض ذلك أيضًا فيما يتعلق بتشويه صورة السفير الألماني الراحل ونجنهايم، فضلًا عن التشهير بطلعت وأنور، بل الأتراك بشكل عام، وذلك على أساس عملي من التجربة، فقد عاش في استانبول، وأدرك أن المكتوب لم يكن هو الحقيقة التي عاشها السفير هناك.

شراينر رفض- أيضًا- تعاطي السفير للمشكلة الأرمنية، فشراينر يعرف عن هذه القضية أكثر مما يعرف كل أفراد السفارة. لقد كان الرجل شاهدَ عيانٍ على

(1) FDR: HMS — Box No. 12: Schrciner to Morgenthau letter of December 11, 1918.

(2) While scattered throughout several reels of the 'Library of Congress: Papers of Henry Morgenthau' material, there are letters dealing with the book, most are clearly in the nature of congratulatory notes. Schreiner's is the only example of a letter written by a close acquaintance of Morgenthau in the Constantinople period expressing strong disagreement with the views set forth in the book.

الأحداث في الأناضول، وقد ظهرت ذلك في كتابه عن تجاربه في تركيا «من برلين إلى بغداد: وراء الكواليس في الشرق الأدنى»(١).

حتى أنه كتب عن أول قافلة من القوافل المبعدين الأرمن- الذين ثاروا في زيتون- وقد لقيهم على الطريق بالقرب من أضنة، في ٢٦ أبريل ١٩١٥ (٢).

وبعد عودته إلى العاصمة استانبول كتب عن هذه الأحداث، وقدم ذلك إلى السفير مورجنثاو. وبالتالي كان هو أول شاهدِ عيانٍ يقدم للسفير معلومات عن أحداث الترحيل تلك، حتى أن النسخة الأصلِية منً ذلك التقرير لا تزال محفوظة ضمن أوراق «مورجنثاو» موَقَّعة من شراينر، ومؤرخة في ٢٤ مايو ١٩١٥ (٣).

ربما نحن مدينون لبقاء رسالة شراينر محفوظة ضمن أوراق مورجنثاو، إذ تحتوي على تهديد غير مباشر، عندما قال شراينر إن الأحداث الدبلوماسية على البوسفور سوف تعرف على حقيقتها بمجرد أن أحصل على مذكراتي ووثائقي من أوروبا.. كما قال (٤).

(1) Among the numerous publications of George A. Schreiner, that dealing in greatest detail with his assignment in Turkey, is: From Berlin to Bagdad: Behind the Scenes in the Near East. New York (Harper & Brothers), 1918. Strangely, this 350 page detailed diary-like account of the nine month period in 1915 which Schreincr spent in Turkey, seldom if ever is mentioned in ‘Bibliographies’ of books dealing with the period of the Ottoman Empire in the First World War. It is an eyewitness account to some of the most significant clashes of the Dardanelles campaign and many other interesting events. (Hereafter: Schreiner, Near East).

(2) Schreiner, Near East: pp. 183 - 213, a chapter titled: “Armenia’s Red Caravan of Sorrow,” is evidently the earliest eyewitness account of the 1915 Armenian deportations.

(3) LC: PHM-Reel No. 22: A two - page single spaced typewritten document, bearing the title: “Statements concerning Armenians met on road from Bozanti to Tarsus” and signed: George A. Schreiner - Constantinople, May 24, 1915.

(4) George A. Schreiner, The Craft Sinister: A Diplomatico—Political History of tlue Great War and its Causes-Diplomacy and International Politics amid Diplomatists as Seen at Close Range by an American Newspaperman who Served in Central Europe as War and Political Correspondent. New York (C. Albert Geyer), 1920. For American diplomacy in Turkey, see: pp.110—135 in particular. (Hereafter: Schreiner, Craft Sinister).

وبالفعل كتب شراينر كتابًا هاجم فيه ويلسون وسياسته، واتهم ويلسون بأنه أرسل إلى العواصم الأوروبية زمن الحرب رجالًا غير أكفاء، وكما هو متوقع كان «مورجنثاو» هو دراسة الحالة التي أيد بها شراينر رأيه.

وقد كتب في مقدمة كتابه ذاك تعليقاتٍ يأمل من خلالها أن يقود القارئ إلى التفكير بطريقة مختلفة، وقال:

«من المأمول أن مؤرخي المستقبل لن يعطوا أهمية أكثر مما ينبغي أو لن يلتفتوا إلى هذا الهراء الموجود في كتب الدبلوماسيين، وأنا على سبيل المثال وجدت هذه الكتب لا يمكن الاعتماد عليها بشكل واضح، فهي غير موثوق فيها؛ حيث يتلاعب بها مؤلفوها، وهذه الكتب «الأدبية» تأتي على قدم المساواة مع «الكتب الزرقاء» التي نشرت من قبل الحكومات لتنوير الرأي العام وتسلية المثقفين، كما يتبين في الكثير من الحالات..»[1].

وفي الفصل المعنون: «الدبلوماسية في تركيا» يتحدث شراينر عن تفاصيل العلاقة الوثيقة التي كانت قائمة بين السفير «مورجنثاو» ونظيره الألماني ونجنهايم ويعلق عليه بقوله: إن كتب الدبلوماسيين يجب ألا تؤخذ على محل الجد، فالسفير الذي يشارك فيما يحدث من مشكلات، ويكتب عنها غالبًا من يتخذ موقفًا إلى جانب أحد الأطراف دون النظر إلى وجهة نظر الطرف الآخر، مع بعض المبالغات في موقفه وكتاباته.

ولقد كان «مورجنثاو» محبوبًا من الدبلوماسيين الألمان في استانبول، حتى بعد فترة من اندلاع الحرب، كان لا يمانع في استمرار صداقته مع ونجنهايم[2].

كما كتب شراينر أيضًا عن الصلات بين «مورجنثاو» وبين كلٍّ من طلعت بك وأنور باشا قائلًا:

---

(1) Schreiner, Craft Sinister: p. xxi.

(2) Schreiner, Craft Sinister: p. 126.

«كان رجال الحكم في تركيا على علاقة جيدة بالسفير الجديد لأمريكا في استانبول، لاسيما أنور باشا الذي كان ضيفًا مميزًا في حفلات الشاي أو المآدب التي تقيمها مسز «مورجنثاو» حرم السفير، حتى بعد فترة من دخول تركيا الحرب، والوضع نفسه كان مع طلعت بك، كذلك عدد من الضباط والمسئولين الأتراك»(١).

وأي قارئ يشكك في دقة شراينر حول هذه الأقوال ليس عليه سوى مطالعة الصفحات التي كتبها «مورجنثاو» في يومياته أو في خطابته العائلية، حتى في وقت متأخر إلى تاريخ ١٢ يناير ١٩١٦ أي قبل أسبوعين فقط من مغادرته استانبول، إذ يتحدث «مورجنثاو» عن دعوته لطلعت بك إلى مائدته دعوة خاصة، ويسأله إن كانت غذاء أم عشاء، وهي فرص للقاء قبل المغادرة، ولإنهاء بعض الأعمال، بل طلب من طلعت أن يصحب معه من يريد إلى المأدبة الخاصة(٢).

وبعد ثلاثة أيام يسجل «مورجنثاو» في يومياته بتاريخ ١٥ يناير أن طلعت جاء إلى مأدبة الغداء، وجاء معه خليل بك وزير الشئون الخارجية، وانضم إليهم سكمافونيان، وتبادل الجميع المزاح(٣).

إنه من المستحيل التوفيق بين نبرة المزاح والصداقة تلك، وبين اللقاء الأخير بعد أسبوعين فقط؛ حيث يصور طلعت وكأن الشيطان تجسد فيه، بل منذ بداية القصة إلى نهايتها.

والحقيقة كما قال شراينر أن هذا الكتاب «قصة» نسجت حول أحداث وشخصيات حقيقية، وكتبت بهذه الطريقة لإعطائها سمة التاريخ وبريقه، لحسابات أخرى.

---

(1) Ibid.

(2) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry of January 12, 1916.

(3) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for January 15, 1916.



القيصر ويلهلم الثاني، في زي مارشال تركي

الفصل السادس
لماذا القلق من قصة مورجنثاو الآن؟

ما الذي يمكن قوله عن علماء يدرسون «إبادة الأرمن»، وينشرون كتابًا بعد كتاب؟، وعلى مدى العقود الماضية اقتبسوا الكثير من المعلومات من خلال الأكاذيب وأنصاف الحقائق التي ضمَّتها قصة مورجنثاو، دون أي التفات أو تحليل للتناقضات الواضحة فيها بشدة؟

.. من واجب العلماء نحو الحقيقة هو العثور عليها ورعايتها والحفاظ عليها، ولا ينبغي أن يساعدوا على استمرار الكراهية من خلال نشر الخيال المختلط بالحقيقة، أو الحقيقة المختلطة بالكذب.



مدخل الكنيسة الأرمنية في أورفا؛ حيث تم حرق العديد من الأرمن.
الكنيسة الأرمنية تأسست في القرن الرابع، وهي أقدم كنيسة مسيحية



الجنود الأرمن. حتى ١٩٠٨، كان لا يسمح للأرمن بالخدمة في الجيش العثماني. ولكن في حروب البلقان، تميزوا بشجاعتهم ومهارتهم. في الحرب الحالية، سحب الأتراك منهم أسلحتهم، وحولوهم إلى المؤخرة للعمل كالدواب وكعمال طرق



أولئك الذين سقطوا على جانب الطريق. مشاهد كهذه كانت شائعة في جميع أنحاء المحافظات الأرمنية في أشهر الربيع والصيف من عام ١٩١٥. الموت في أشكاله عدة- المجزرة والتجويع والإنهاك- دمر الجزء الأكبر من اللاجئين. السياسة التركية التي كان هي الإبادة تحت ستار الترحيل

هذا الكتاب «قصة السفير مورجنثاو»- ببساطة- يذكرنا بواحد من أنجح رجال سمسرة العقارات في نيويورك، والذي تحوّل بعد ذلك إلى أكبر جامع للتبرعات، والذي كوفئ على مجهوداته- في الحملة الانتخابية للرئيس ويلسون- وشغل منصب سفير الولايات المتحدة لدى الإمبراطورية العثمانية، وليس كسكرتير لمجلس الوزراء الأمريكي- كما أراد.

لا يمكننا أن ننسى السفير «مورجنثاو» كما فعل العالم في منتصف القرن العشرين، لكن في عام ١٩٩٠ وبعد مرور ٧٢ سنة على ظهور قصته/ كتابه «قصة السفير مورجنثاو»- والذي ما زال يطبع- في هذه السنة -١٩٩٠- تكرر الاستشهاد بهذه القصة داخل الكونجرس الأمريكي، استشهد به أعضاء مجلس الشيوخ كدليل إثبات على أن الحكومة التركية- الاتحاد والترقي- خططت ونفذت «إبادة جماعية للأقلية الأرمنية» [١].

ورغم أن عددًا كبيرًا من المحارق والإبادات الجماعية تدرس في المدارس العليا في أمريكا ويستذكرها الطلاب متأثرين بها، وتكشف لهم عن العقليات المنحرفة التي تقدم على عمل ثوري أو إجرامي كهذه الإبادات الجماعية، تدرس كذلك مقاطع من هذا الكتاب [٢].

باختصار وبعيدًا عن أي تقدير أو البحث عن مكاسب من وراء هذا الكتاب، فإن قصة السفير «مورجنثاو» لا تزال حتى اليوم شوكة في حلق الأدب، إذ لا تزال

(1) The'Congressional Records-Senate' for the dates of February 20 - 22 and 27,1990 are full of references to Morgenthau's 'Story' as proof of contention that the Ottoman Armenians were victims of a Turkish perpetrat ed 'genocide' during World War I.

(2) A good case in point (one of many) is the Margot Stern Strom and William S. Parsons, Facing History and Ourselves: Holocaust and Human Behavior. Water.town, Massachusetts (International Education), 1982, a curriculum which is widely used in a variety of states throughout the country. In pp.316- 382 of this guide a chapter titled: "The Armenians - A Case of a Forgotten Genocide - Do We Learrr From Past Experiences?," makes frequent use of Ambassador Morgenthau's Story, including lengthy quotations on pp. 322- 323, 367- 68 and 372.



مشهد من خربوط؛ حيث المذابح التي تعرض لها الرجال وقعت على نطاق واسع.



منظر لأورفا. واحدة من أكبر المدن في آسيا الصغرى

ترسم صورة الأتراك كأوغاد غير نادمين على ارتكابهم إحدى الإبادات الجماعية التاريخية.

الغرض من هذه الدراسة أقل من الإجابة على سؤال ما إذا كان مصير الأرمن العثمانيين يمكن وصفه بأنه إبادة جماعية أم لا؟

وكذلك هذه الدراسة أكثر من محاولة للتمييز بين ما هو حقيقي وما هو باطل في قصة السفير «مورجنثاو».

يجب علينا أن نكون مدركين للآثار المترتبة على ذلك الكتاب.

فمورجنثاو لا ينبغي اعتباره مجرد سفير لأمريكا في استانبول، لكنه شخصية أساسية في نشر تقارير إلى باقي دول العالم عن معاناة الأرمن العثمانيين في الحرب.

وثمة ثلاثة شخصيات ارتبط اسمها بنشر «الملحمة الأرمنية» واستمرارها، هم:

اللورد برايس، الذي جمع مجموعة من الوثائق عام ١٩١٦، وأصدرها في كتاب بعنوان «معاملة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية»(١).

القس المبشر الألماني الدكتور يوهانس لبسيوس والذي أصدر هو الآخر كتابًا لقي شهرة كبيرة في أوروبا حول المسألة الأرمنية (٢).

وأخيرًا السفير هنري مورجنثاو، وقصته.

وقد ظهرت أعمالهم الثلاثة في وقت واحد في كلٍّ من أوروبا والولايات المتحدة عام ١٩١٨، وعرفت على المستوى الدولي. لكن ما هو غير معروف هذه العلاقة التي جمعت بين الثلاثة، وكذلك الدور الذي لعبه «مورجنثاو» فيها.

---

(1) Great Britain: Time Treatment of Armenians in the Ottoman Empire: Documents Presented to Viscount Grey of Fallodon, Secretary of State for Foreign Affairs. With a Preface by Viscount Bryce. London (Hodder & Stoughton), 1916. This tome of over 700 pages in length was actually compiled by the historian, Arnold Toynbee. (Hereafter: Toynbee: Treatment).

(2) Lepsius, Johannes: Le Rapport Secret du Dr. Johannes Lepsius sur les Massacres d'Armenie. Paris (Payot & Cie.). 1918.

نجد في يوميات «مورجنثاو» المؤرخة في ٣١ يوليو ١٩١٥ تعليقات حول أول لقاء بين السفير الأمريكي والقس الألماني ليبسيوس:

«في الساعة الثالثة زارني الدكتور يوهان ليبسيوس، وقدم لي الكثير من المعلومات حول المسألة الأرمنية، وكان يتوق إلى معرفة المعلومات الأخرى التي وصلتني، وتبدو الجدية على عزم لبيسيوس في أن يفعل شيئًا ما، فهو يقترح الذهاب إلى جنيف، ويوجه هناك نداءًا إلى الصليب الأحمر الدولي، ورؤساء الدول المحايدة، والبابا؛ لينظم الجميع احتجاجًا عالميًّا..» (١).

وثمة خطاب عائلي يكرر فيه «مورجنثاو» هذا الكلام أعلاه، ويضيف:

«لقد رتبت مقابلة بين الدكتور/ ليبسيوس وبين القائم بالأعمال اليونانية؛ ليطلع البروفيسور على كيفية تصرف اليونانيين ومعاملتهم» (٢).

وفي اليوم نفسه أرسل «مورجنثاو» برقية مشفرة إلى وزارة الخارجية الأمريكية يطلب فيها الإذن لتقديم كافة المعلومات الموجودة في ملف لدى السفارة حول الأرمن، وقال:

«اقترح الدكتور ليبسيوس أن يقدم المسألة إلى الصليب الأحمر الدولي للسعي إلى حث ألمانيا على المطالبة بوقف هذه الفظائع، وهو يتوق إلى الحصول على المعلومات الموجودة في ملف لدى السفارة، وسوف أعطيه إياه إذا لم يكن هناك اعتراض لدى الإدارة» (٣).

وبالرغم من أن طلب المعلومات كان من ليبسيوس، والإذن لم يصدر بعد من الإدارة الأمريكية أو الخارجية، إلا أنه من الواضح اتفاق «مورجنثاو» مع ليبسيوس، وموافقته على هذا الطلب.

---

(1) LC: PHM — Reel No.5: Morgenthau 'Diary' entry for July 31, 1915.

(2) FDR: HMS — Box No.8: Morgenthau 'Letter' of August 9, 1915, p.9.

(3) NA: Record Group 59: 867.401683/ for text of Morgenthau to Secretary of State telegram of July 31, 1915. Scealso:LC:PHM - Reel No. 7: 'Paraphrase' in Morgenthau papers of cipher telegram to the Department of State, dated July 31, 1915.

وكمتابعة لهذه اللقاءات بين «مورجنثاو» وليبسيوس، دعاه السفير يوم ٣ أغسطس ١٩١٥ إلى مائدة عشاء، وسجل ذلك في يومياته:

«أنا وليبسيوس أجرينا مناقشة طويلة حول الشئون الأرمنية، وقد حدثني عن نشاطاته لوقف الترحيل، إلا أنه سوف يتجه إلى سويسرا- جنيف تحديدًا- لإثارة الصليب الأحمر الدولي، ولقد أخبرته بأننا يجب أن نقابل أولًا هيلفريتش ونشرح له ما لهذه الأمور من آثار مدمرة على الاقتصاد التركي، وأن الألمان سيجدونها «قشرة فارغة» بعدما يحصلون عليها. وقد أرسلت إلى سكمافونيان الذي جاء وشاركنا مناقشتنا بعد العشاء» (١).

وفي ٦ أغسطس ١٩١٥، تسلم «مورجنثاو» برقية مشفرة من وزير الخارجية الأمريكي روبرت لانسينج تقول: «أنت مفوض لاستخدام الحكمة في مسألة تسليم الملف إلى ليبسيوس» (٢).

في يوم ١١ أغسطس ١٩١٥ قام ليبسيوس بزيارة أخرى إلى «مورجنثاو» وأبلغه أنه: «لديه موعد اليوم بعد الظهر لمقابلة أنور بك، لكن الأمل ضعيف في تحقيق أي شيء، ويبدو أن السلطات تسعى في تنفيذ مخططها المنصوص عليه» (٣).

في ١٤ أغسطس ١٩١٥ تكررت زيارة ليبسيوس إلى من يهمه الأمر تقول اليوميات:

«زارني ليبسيوس مرة أخرى، أعطيته بعض التقارير ليقرأها، وكذلك ترجمة لكتيّب من اللغة العربية، وأخبرني بما دار في لقائه مع أنور، وقال إنه فوجئ بالصراحة التي تحدث بها أنور، فقد تحدث عن خطتهم الرامية إلى التخلص من الأرمن، قال

---

(1) LC: PHM -Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for August 3,1915.

(2) NA: Record Group 59: 867.4016 /83 telegram of August 4, 1915 from Lansing to Morgenthau. See also: LC: PHM - Reel No. 7: ‘Paraphrase’ in Morgenthau papers of cipher telegram from Lansing in Washington dated 4 August and received August 6, 1915.

(3) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for August 11, 1915.



من بقايا مذابح الأرمن في أرزنجان. وتوجد هذه في جميع أنحاء أرمينيا



جنازة البارون فون وانجنهايم. السفير الألماني في تركيا. السيد مورجنثاو يسير مع أنور باشا، وأمامهم في المقدمة طلعت باشا

أنور: إنها فرصة لطردهم وسوف لا نضيع هذه الفرصة، نفس الكلمات التي قالها لي أنور»[١].

في اليوميات المذكورة أعلاه لا يبدو واضحًا فيها ما إذا كان «مورجنثاو» قد أعطى ليبسيوس تقاريرَ حول الأرمن ليقرأها، أو أنه بالفعل أعطاه نسخة منها، ولكن الخطاب العائلي المؤرخ في ٢٣ أغسطس ١٩١٥ يشير إلى أن «مورجنثاو» قام بالفعل بإعطاء ليبسيوس نسخًا من مواد الملف الذي لدى السفارة. يقول:

«جاءني الدكتور ليبسيوس وأعطيته بعض التقارير التي تسلمتها من بعض قناصلنا وغيرهم، وكذلك ترجمة لكتيب كتب باللغة العربية»[٢].

بالإضافة إلى هذه الكلمات، فإن إجراء مقارنة بسيطة بين المواد التي نشرت في كتاب «ليبسيوس» مع التقارير المقدمة إلى «مورجنثاو» من القناصل والمبشرين الأمريكيين، كل ذلك من شأنه إثبات أن «مورجنثاو» كان المصدر الرئيسي لعمل ليبسيوس.

ونظرًا للواقع، فإن ليبسيوس مكث في العاصمة العثمانية شهرًا واحدًا خلال الحرب، كما أن عدد المبشرين الألمان في المناطق الداخلية من الأناضول كان قليلًا نسبيًّا، فإنه ليس من المستغرب أن الكثير من المعلومات عن عمليات الترحيل مستمدة من إرساليات التبشير البروتستانتية الأمريكية.

وزير الخارجية الأمريكي «لانسينج» أعطى «مورجنثاو» حرية التصرف «التقديرية» في إعطاء «ليبسيوس» المعلومات عن الملف الأرمني سواء للقراءة أو نسخ معلوماته، وقد اعتبرها «مورجنثاو» موافقة له في حرية التصرف في الأحوال الضرورية.

هذه الأحوال جاءت بعد نحو شهر من رسالة وزير الخارجية الأمريكي، إذ تلقى «مورجنثاو» رسالة من اللورد جيمس برايس، وكان قد تعرف عليه في رحلة إلى فلسطين.

---

(1) LC: PHM - Reel No.5: Morgenthau ‘Diary’ entry for August 14, 1915.

(2) FDR:HMS-Box No.8:Morgenthau «Letter» dated August 23,1915,p.5.

وقد اشتهر برايس من خلال «تقرير برايس» الذي روى فيه قصصًا مروعة عن الفظائع التي ارتكبت في حق الأرمن، والذي نشر في كتاب تحت عنوان «معاملة الأرمن في الدولة العثمانية»، أما الغرض من رسالته التي أرسلها إلى «مورجنثاو» فهي:

«إذا كان لديك أي تقارير جاءتك من المبشرين الأمريكيين المنتشرين عبر الأناضول، متعلقة بأوضاع الأرمن، فربما تسمح لي برؤية هذه التقارير، أما تقارير القناصل فهي بالطبع سوف ترسل فقط إلى حكومتك»(١).

لم يضيع «مورجنثاو» الوقت في الاستجابة لطلب اللورد برايس، وبإجراء مقارنة أولية بين الوثائق المنشورة لبرايس في برايس ١٩١٦ بعنوان: «معاملة الأرمن في الإمبراطورية العثمانية»، مع نسخ التقارير المقدمة إلى مورجنثاو، نجد بوضوح مدى اعتماد اللورد برايس عليها كمصدر أساس(٢).

وبالنظر إلى تذكير برايس له عن التقارير التي ترسل فقط إلى الحكومة الأمريكية، فلم يكن ذلك مزعجًا لمورجنثاو، إنما تلك كانت إشارة له من برايس، ذلك أن هذه التقارير بالفعل ترسل فقط إلى وزارة الخارجية، لكن بعد بضعة أشهر من تقديم القنصل الأمريكي في حلب ج. ب. جاكسون تقاريره إلى السفارة، نشرها برايس، وقال: إنه تلقاها من مجهول(٣).

---

(1) LC: PHM - Reel No. 7: Bryce to Morgenthau letter of August 7, 1915. For a discussion of the manner in which Lord Bryce lent the credibility of his name to the propaganda efforts of Wellington House which were designed to bring the United States into the war, see: Michael Sanders & Philip M. Taylor, British Propaganda During the First World War, 1914 - 1918. London (The Macmillan Press), 1982. pp. 143 - 144. (Hereafter: Sanders/Taylor, Propaganda).

(2)Morgenthau's papers, in particular: LC: PHM— Reels No. 7 and 22, contain copies of a large number of missionary, consular and traveler reports, submitted to Morgenthau between early May and the end of 1915.

(3) See, for example, Toynbee, Armenians: p. 547: 'Aleppo: Series of Reports From a Foreign Resident at Aleppo; communicated by the American Committee for Armenian and Syrian Relief: Report dated 12th May 1915.' The "foreign resident" at Aleppo was none other than the American Consul J.B. Jackson, and the passage in question is taken directly from a report he submitted to Morgenthau (See: LC: PHM -Reel No. 7)

إن ذلك لم يكن من قبيل المصادفة، أي أن بريطانيا لم تكن قد حصلت على هذه المواد من مصادر أخرى، وقد أكد على تلك الحقيقة «مورجنثاو» نفسه، الذي كتب في مجلة الصليب الأحمر في مارس ١٩١٩ حول دوره في إمداد اللورد برايس بالمعلومات:

«لقد انتهزت الفرصة من أجل تسجيل الوقائع بدقة، والاحتفاظ بسجلات دقيقة للبيانات التي جاءتني من شهود عيان للمجازر، وشملت هذه البيانات تقارير من الوافدين من كل الأصناف، من المبشرين المسيحيين وغيرهم من الشهود. الكثير من المواد التي جمعتها نشرت بالفعل في كتاب ممتاز يحْوي هذه الوثائق، نشره الفيكونت برايس» [١].

عندما يدرك المرء أن هذه المواد تشكل العمود الفقري لواحدة من العمليات التي كانت الأكثر فاعلية في الدعاية الموجهة أثناء الحرب ضد الأتراك، والواردة إلى المخابرات البريطانية عبر السفير الأمريكي، عندما كانت الولايات المتحدة ما زالت دولة محايدة، ونشرت هذه الوثائق كجزء من الجهود البريطانية لإثارة الرأي العام الأمريكي ضد الأتراك والألمان، بل وكسب أمريكا إلى صفها في الحرب؛ عندما يدرك المرء ذلك فلا يملك إلا أن يتساءل عن موقف «مورجنثاو» ودوره[٢].

كما أن برايس وكتابه هو الوحيد الذي أفاد بريطانيا عبر السفير مورجنثاو، فهذه المواد لدى «مورجنثاو» استفاد منها أيضًا أرنولد توينبي وجعلها مادة أساسية لجهود الدعاية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى، إذ كان أرنولد توينبي عضوًا في «مؤسسة ولنجتون» وصار واحدًا من أكثر المتخصصين في الدعاية.

وله إسهاماته في إدانة الأتراك على الفظائع الأرمنية، وأصدر في ذلك عدة مؤلفات منها: قتل أمة (لندن ١٩١٥) وغيره..[٣].

---

(1) Henry Morgenthau, The Greatest Horror in History, Red Cross Magazine (March, 1919), p.8.

(2) Sanders/Taylor, Propaganda: pp. 144 - 46.

(3) Sanders/Taylor, Propaganda: pp. 145 - 46.

وما لم يذكر في الحقيقة أن الكثير من القصص الوحشية التي نشرها- توينبي- عن أحداث ١٩١٥ لم تكتمل إلا بواسطة هنري مورجنثاو[1].

إذا نحينا جانبًا قيمة المواد والمعلومات التي وفرها مورجنثاو، فثمة حقيقة واحدة لا جدال فيها، أنه له دور رئيسي في ظهور جميع الكتب التي تحدثت عن فظائع الحرب، والمعاملة التركية للأرمن، وذلك من خلال دوره كقناة للمواد التي تدفقت إلى القس الألماني ليبسوس، واللورد الإنجليزي برايس، وأرنولد توينبي، وآخرين.

كان هنري مورجنثاو عاملًا رئيسيًّا في تشكيل الرأي العام الأمريكي ضد الأتراك، خاصة فيما يتعلق بالأرمن، وذلك الدور كان قبل وقت طويل من المشروع الذي تبناه الرئيس ويلسون في أواخر عام ١٩١٧ والذي أسفر في النهاية عن ظهور كتاب «قصة السفير مورجنثاو».

هذا الكتاب المهم لم يخضع في أي وقت مضى للدراسة حتى الآن، سوى دراستنا هذه، وهذه حقيقة مؤسفة لا يمكن أن نتصورها في أي مجال من المجالات التاريخية سوى في هذه الجزئية الضيقة المعروفة باسم: «التاريخ الأرمني/ التركي»؛ حيث كانت العاطفة الخالصة هي المادة الخام للدراسة وليس البحث العلمي المتأني، ثم يمرر ذلك كدعاية تاريخية.

ما الذي يمكن قوله عن علماء يدرسون «إبادة الأرمن»، وينشرون كتابًا بعد كتاب، وعلى مدى العقود الماضية اقتبسوا الكثير من المعلومات من خلال

---

(1) . A comparison of the contents of Arnold J. Toynbee's: Armenian Atrocities: The Murder of a Nation. London (Hodder & Stoughton), 1915, and The Murdero us Tyranny of time Turks. London (Hodder & Stoughton), 1917, with the missionary, consular, and traveler reports preserved in the Morgenthau papers (See: LC: PHM — Reels Nos. 7 and 22) establishes this fact. On the basis of the surviving record it is impossible to state with certainty that Morgenthau passed the material directly to Bryce/Toynbee. He may have done so through intermediaries.

الأكاذيب وأنصاف الحقائق التي ضمتها قصة مورجنثاو، دون أي التفات أو تحليل للتناقضات الواضحة فيها بشدة؟ (١)

هذا بالرغم من أن قائمة مراجعهم تشير إلى استخدامهم أوراق «مورجنثاو» الموجودة ضمن مجموعات مكتبة الكونجرس؛ حيث تحفظ هناك «يوميات» مورجنثاو!(٢)

لا يسع المرء إلا أن يتساءل: كم من الشباب الأرمن اندفعوا إلى الاغتيالات الإرهابية ضد المسئولين الأتراك والمدنيين الأبرياء في السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين، متأثرين بما قرؤوه في قصة السفير مورجنثاو؟

---

(1). A case in point is the Armenian-American scholar Richard G. Hovannisian, who from his early works such as: Richard G. Hovannisian, Armenia on the Road to Independence, 1918. Berkeley (University of California), 1967. p.52 until the recent:
Richard G. Hovannisian, cd., The Armenian Genocide in Perspective. New Brunswick (Transaction Books), 1986: pp.29 - 30 (in his article entitled: "Historical Dimensions, 18784923-," and,again on p.112 in his article: "The Armenian Genocideand Patterns of Denial"), makes frequent use of quotations from Morgenthau. Clearly, Hovannisian, whose current activities focus on lecturing and writing on those who attempt to deny the historical reality of the Armenian 'genocide' (most recently, his: "Patterns of Denial Fail to Veil Genocide," in Armenian ?nternational Magazine. Volume 1., No. 1 (July, 1990), pp. 16 - 17), might benefit from a more careful examination of the sources upon which he bases his characterization of the fate of the Ottoman Armenians.

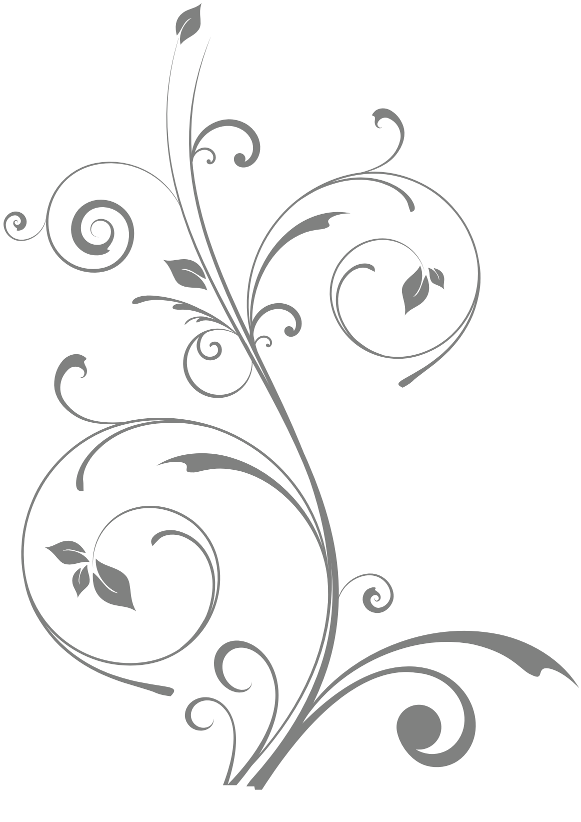
(2) . Richard C. Hovannisian, The Armenian Holocaust: a Bibliography Relating to the Deportations, Massacres, and Dispersion of the Armenian People, 1915- 1923. Cambridge, Massachusetts (Armenian Heritage Press), 1980. On page 13, in alistingof collections of papers preserved in the U.S. Library of Congress, Manuscript Division, Hovannisian makes the following reference to the Morgenthau papers: "Henry Morgenthanu, Sr. (includes hundreds of reports about the massacres and the Ambassador's futile attempts to intercede)." Despite the fact that such 'reports' number in the dozens rather than the hundreds, Hovannisian's statement implies (given the absence of published studies in 1980 based on these papers), that he must indeed have examined the 'Papers of Henry Morgenthau' preserved in the Library of Congress.

كم منهم ينظرون إلى المواطنين الأتراك الأبرياء الذين لم يكونوا قد ولدوا بعد في وقت الحرب العالمية الأولى، ينظرون إليهم كهدف وضحية لهجوم إرهابي؛ لأنهم ببساطة أحفاد الأصول العرقية التي ينتمي إليها طلعت بك، ذلك الرجل الذي تفاخر- وفقًا لقصة مورجنثاو- بأنه حقق الكثير في مشكلة الأرمن وحلها في غضون ثلاثة أشهر، بينما لم يفعل مثله السلطان عبد الحميد في ثلاثين سنة.

من واجب العلماء نحو الحقيقة هو العثور عليها ورعايتها والحفاظ عليها، ولا ينبغي أن يساعدوا على استمرار الكراهية من خلال نشر الخيال المختلط بالحقيقة، أو الحقيقة المختلطة بالكذب.

هنري مورجنثاو مات منذ أربعة وأربعين عامًا، وهي مدة طويلة كان ينبغي لكتابه كذلك أن يوارَى الثرى معه، فالإرث الحقيقي الذي تركه الرجل هو «اليوميات»، والخطابات العائلية والبرقيات التي بعثها، والتقارير المقدمة إلى وزارة الخارجية الأمريكية خلال فترة الستة والعشرين شهرًا التي أقامها في تركيا، هذه الأوراق وحدها هي القصة الحقيقية للسفير «مورجنثاو».

فهرس المحتويات



المركز الثقافي الآسيوي

مؤسسة بحثية مستقلة، تتبع جمعية خريجي معهد الدراسات والبحوث الآسيوية، تخضع لقانون الجمعيات الأهلية المصري، مشهرة في وزارة التضامن الاجتماعي برقم ١٣٢٨ لسنة ٢٠٠٢م .

يتكون المركز الثقافي الآسيوي من الوحدات التالية:

١- وحدة دراسات الخليج وشبه الجزيرة العربية.

٢- وحدة الدراسات الإيرانية.

٣- وحدة الدراسات التركية والعثمانية.

٤- وحدة الدراسات الأرمنية والقوقازية.

٥- وحدة الدراسات اليهودية والإسرائيلية.

٦- وحدة دراسات الشرق الأقصى.

٧- وحدة دراسات الفنون والتراث.

٨- وحدة دراسات تركستان الشرقية- شينجيانج

يهدف المركز الثقافي الآسيوي إلى عمل البحوث والدراسات المتعلقة بقارة آسيا في النواحي التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكافة النواحي الحضارية.

يعمل المركز الثقافي الآسيوي على طباعة ونشر الدراسات التي تنتجها وحداته المختلفة، كذلك الدراسات التي يتقدم بها الباحثون المتخصصون في مجال اهتمامات وحدات المركز.

كما يقوم المركز الثقافي الآسيوي بترجمة الإصدارات العالمية الخاصة بقارة آسيا وإصدارها في نشرات خاصة.

يسعى المركز الثقافي الآسيوي إلى إصدار عدة سلاسل من الكتب والدوريات المتخصصة والتي تخدم الدراسات الآسيوية خاصة، والثقافة الإنسانية بشكل عام.

يمد المركز الثقافي الآسيوي يد التعاون للباحثين والمراكز البحثية والهيئات العلمية الأخرى؛ للقيام بالأنشطة العلمية والندوات والمؤتمرات وعمل الأبحاث ونشرها.

harpgeneration@yahoo.com

(002) 01229365348